أروع
كتب
الجريمة

جورج
سيمنون



نهاية محتال

أروع كتب الجريمة

جورج سيمنون

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية
ومكتبة المعارف ببيروت

نهاية محتال

جورج سيمنون

ترجمة محمد عبد المنعم جلال

(١)

السخـــرة

كانت النظرة الأولى من المفتش ميجريه للميت فى اليوم السابع والعشرين من شهر يونية سنة ١٩٣٠ فى ظروف وملابسات عامة مكدرة ليس من السهل نسيانها . فمنذ أسبوع والبوليس القضائى تأتيه الإشارة تلو الأخرى بأن ملك أسبانيا سيمر بباريس وأنه ينبغى اتخاذ الاجراءات اللازمة فى مثل هذه المناسبة .

وكان مدير البوليس القضائى فى براغ لحضور مؤتمر علمى للبوليس على حين استدعى وكيل البوليس إلى قصره على الشاطىء النورماندى بسبب مرض ألم بأحد أولاده .

وكان ميجريه أقدم المفتشين فكان لزاما عليه أن يهتم بكل شىء وزاد الطين بلة أن الجو كان ساخنا خانقا ومعظم الموظفين يقومون بأجازاتهم .

زد على ذلك أنهم فى صباح اليوم السابع والعشرين عثروا على

بائعة « خردوات » بشارع بكبوس مقتولة فى محلها .

صفوة القول ، كان جميع المفتشين قد ذهبوا فى الساعة التاسعة صباحا إلى محطة وادي بولونى حيث ينتظرون قدوم ملك اسبانيا .

وكان ميجريه قد فتح جميع الأبواب والنوافذ التى راحت تصطفق تحت تأثير التيارات الهوائية وأخذت الأوراق تطير من فوق المكاتب .

وفى الساعة التاسعة وبضع دقائق جاءت برقية من نيفر هذا نصها :

« قتل إميل جاليه الوسيط التجارى والمقيم بسان فارجو فى ليلة ٢٥ - ٢٦ بفندق لالوار بمدينة سانسر . تفاصيل كثيرة غريبة. رجاء اخطار عائلته للتعرف على الجثة وإرسال مفتش من باريس إن أمكن » .

ولم يجد ميجريه بدا من أن يذهب هو نفسه إلى سان فارجو التى لم يكن يعلم أنها تقع على بعد خمسة وثلاثين كيلو مترا من باريس .

ولم يكن يعرف مواعيد القطارات ، وعندما بلغ محطة ليون قيل له ان أحد قطارات الركاب سينطلق بعد لحظة فأخذ يجرى واستطاع أن يقفز فى آخر عربة .

وكان هذا وحده كافيا لكى يجعله يتصبب عرقا . وقضى طول الرحلة وهو يسترد أنفاسه ويجفف عرقه لأنه كان بدينا .

وفي سان فارجو كان هو المسافر الوحيد الذى غادر القطار واضطر أن يضرب على غير هدى فوق « رصيف » المحطة اللين قبل أن يجد موظفا يستعلم منه عن الطريق .

– مسيو جاليه ؟ ... في آخر الممر الرئيسى للتقسيم .. هناك نحاسة على «الفيللا » مكتوب عليها «فيللا المارجريت» ... وعلى كل حال فهو البيت الوحيد الذى تم بناؤه في الناحية.

وخلع ميجريه « جاكتته » ووضع منديلا تحت قبعته ليحمى قفاه من أشعة الشمس الحارقة لأن الممر الرئيسى كان عرضه مائتى متر ولم يكن مطروقا إلا من وسطه حيث لا مكان يستظل به .

وكانت الشمس ذات لون نحاسى حزين والذباب يلسع فى إهتياج مما ينذر بقرب هبوب عاصفة .

وكان الطريق مقفرا إلا منه .

ولم يكن التقسيم إلا عبارة عن غابة كان يبدو أنها ضمن أملاك أحد الأمراء، إكتفي المخططون بأن خططوا عليها شبكة من الممرات الهندسية وأقاموا فوقها اسلاكا كهربية لتغذى «الفيللا» المتوقعة بالنور .

وأمام المحطة أقيم ميدان فى وسطه «فسقية» من المزايكو ونافورة ، وعلى كشك من الخشب لافتة عليها هذه الكلمات «مكتب بيع الأراضى» وعلى جانب من الكشك علق رسم تظهر فيه الممرات المقفرة بأسماء بعض الرجال السياسيين والقادة ..

وكان ميجريه يرفع منديله كل نحو خمسين مترا فيجفف عرقه ثم يعيده فوق قفاه الذى بدأ لونه يحمر .

وهنا وهناك كانت تطالعه مبان لم يتم بناؤها بعد وجدران اضطر البناءون أن يتركوها بسبب الحر .

وبلغ « فيللا » المارجريت أخيرا ، وكانت تقع على بعد كيلو مترين على الأقل من المحطة . وكانت مبنية على نمط غريب أشبه بالنمط الإنجليزى . من الطوب الأحمر بشكل هندسى معقد ولها سور ريفى يفصل الحديقة عن بقية الأرض التى كانت فى يوم من الأيام غابة .

ومن نوافذ الدور الأرضى رأى سريرا عليه « مرتبة » مطوية طيتين على حين عرضت الملاءات للتهوية فوق « افريز » النافذة.

ودق الجرس فأقبلت خادمة فى الثلاثين بها حول نظرت إليه فى بادىء الأمر من خلال فتحة من الباب ، وبينما كانت تفتح الباب ارتدى ميجريه « جاكتته » .

- مدام جاليه من فضلك .

- من أقول لها ؟ .

ولكن صوتا بالداخل صاح بها متسائلا ؟

- ما الخبر يا أوجينى ؟

وظهرت مدام جاليه فوق « البسطة » وانتظرت توضيحات المتطفل رافعة ذقنها إلى أعلى . وقالت فى غلظة عندما رأته يرفع قبعته ناسيا المنديل الذى وقع على الأرض .

- لقد سقط منك شىء .

والتقط المنديل وهو يغمغم بكلمات غير مفهومة وقدم نفسه قائلاً :-

- المفتش ميجريه ، من البوليس القضائى .. أريد أن أقول لك بضع كلمات يا سيدتى .

- لى أنا ؟

وتحولت إلى الخادمة وصرخت فيها قائلة :

- وأنت ماذا تنتظرين ؟

وكون ميجريه له رأيا عن مدام جاليه على الفور . كانت إمرأة فى الخمسين من العمر سمجة، وعلى الرغم من الوقت غير المناسب ومن الحر الخانق وعزلة «الفيللا» فقد كانت ترتدى ثوبا من الحرير البنفسجى وشعرها مصفوف فى إنتظام، تغطى عنقها

وصدرها ويديها بحلى من الذهب البراق .

وتقدمت الزائر فى أسف باد نحو الصالون ، ومرا بباب مردود ألقى ميجريه نظرة من خلاله فرأى مطبخا أبيض تلمع فيه آنية من النحاس والألومنيوم .

وقالت الخادمة :

– هل أستطيع أن أبدأ بدهان الأرض يا سيدتى ؟

– بالطبع .. ولم لا ؟

وأختفت الخادمة فى غرفة الطعام المجاورة ولم يلبث ميجريه أن سمعها بعد قليل تفرش الأرض بالشمع وهى جاثية على ركبتيها على حين رائحة «التربنتين» النفاذة تملأ البيت .

وكانت جميع قطع «الموبيليا» بالصالون تغطيها مفارش مطرزة بالبرودرى ، وعلى الحائط صورة مكبرة لفتى طويل القامة نحيف الجسم بارز عظمتى الركبتين سمج الوجه يرتدى ثياب القربان الأول. وفوق المعزف صورة عادية لرجل غزير الشعر ذى لحية صغيرة وخطها المشيب يرتدى حاكتة رديئة التفصيل له وجه بيضاوى قريب الشبه إلى وجه الفتى صاحب الصورة الكبرى . وثمة شىء آخر تراه العين . قضى ميجريه بضع لحظات قبل أن يدرك كنهه. ولم يكن هذا الشىء غير شفتى الرجل فهما شفتان رفيعتان بشكل ملحوظ يخيل لمن يراهما أنهما تكادان

تشطران وجه صاحبهما شطرين .

– زوجـــك ؟

– نعم . زوجي . والآن هل لك أن تقول لى ماذا يريد البوليس منا ؟

وفى أثناء الحديث الذى دار بينهما بعد ذلك اضطر ميجريه أن يرفع بصره مرارا نحو الصورة .. وكانت هذه هى أول مرة يرى فيها الميت .

– عندى نبأ سيىء لك يا سيدتى . إن زوجك فى رحلة . أليس كذلك ؟

– هو فى رحلة .. تكلم .. هل ...

– لقد وقع له حادث ، نعم ... ليس حادثا بمعنى الكلمة .. أرجو أن تتقبلى الأمر بكل شجاعة .

وقفت مستقيمة أمامه واضعة يدها على صوان فوقه تمثال من البرونز . كان وجهها قاسى القسمات متشككا ولم يكن هناك ما يدل على أنفعالها غير أصابعها المكتنزة التى راحت تتحرك فى عصبية . ولم يدر ميجريه لماذا خطر له فى هذه اللحظة إنها كانت نحيفة ولعلها كانت نحيفة جدا فى أثناء النصف الأول من حياتها .

– لقد قتل زوجك بمدينة سانسر فى ليلة ٢٥ – ٢٦ ..

وكلفت بأن أنهى إليك هذا النبأ البغيض .

ونظر المفتش إلى الصورة وقال وهو يشير إلى صورة الفتى :

– هل لك أبن ؟

وبدا أن مدام جاليه كانت توشك أن تفقد ذلك التوتر الذى كانت ترى أنه لابد منه للإحتفاظ بوقارها ... وقالت بطرف شفتيها .

– نعم ... أبن .

ثم عادت تقول فى لهجة المنتصر ؟

– تقول مدينة سانسر ؟ أليس كذلك ؟ . واليوم هو السابع والعشرون ؟ فى هذه الحالة أنت مخطىء ... انتظر .

وأسرعت إلى غرفة الطعام حيث رأى ميجريه الخادم على أربع . وعندما عادت ناولته بطاقة بريدية قائلة :

– هذه البطاقة أرسلها لى زوجى ... وهى تحمل تاريخ ٢٦ أى أمس ... وعليها خاتم بريد مدينة روين .

وبدا كأنها تكبح بشق النفس إبتسامة تظهر ابتهاجا بتحقير البوليس الذى تطفل بدخول بيتها . وقالت :

– لا ريب أنه جاليه آخر على الرغم من أن هذا الاسم غير شائع .

ونظرت إلى الباب نظرة ذات مغزى. ولولا وقارها لأسرعت

وفتحته على مصراعيه . ولكن ميجريه لم يعر ذلك إهتماما وقال :

- إن اسم زوجك الأول هو إميل ، أليس كذلك ؟ ... والثابت من بطاقته الشخصية أنه وسيط تجارى ؟

- إنه وكيل محل نبيل وشركاه . عن مقاطعة نورمانديا ... كلها .

- أخشى يا سيدتى أنك تسرعت باظهار ابتهاجك ، وأرانى مضطرا أن أطلب منك مرافقتى إلى سانسر .

- ولكن ما دمت ...

وهزت البطاقة التى فى يدها والتى تمثل صورة السوق القديم لمدينة روين .

ولم تكن قد أغلقت باب غرفة الطعام فظهرت الخادمة وهى تقوم بتلميع الأرض بخرقة كبيرة .

- صدقينى يا سيدتى إننى أتمنى من كل قلبى أن يكون هناك خطأ كما تقولين . ولكن الأوراق التى عثروا عليها فى جيوب القتيل هى أوراق زوجك .

- لعلها سرقت منه .

ومع ذلك فقد بدأ صوتها يشوبه القلق على الرغم منها .. وإذ رأت ميجريه ينظر إلى صورة زوجها مرة أخرى قالت :

- هذه الصورة التقطت له عندما كان يتبع نظاما خاصا فى الأكل و ...

وقاطعها المفتش قائلاً

- إذا كنت تريدين تناول طعام الغداء أولا فسوف أعود بعد ساعة ...

- لا ، إذا كنت تظن ... أنه ينبغى ... أوجيني .. احضرى معطفي الحريرى الأسود وحقيبتى وقفازى .

* * *

لم تكن هناك مصلحة لميجريه فى هذه القضية التى تجمعت لها كل مميزات القضايا البغيضة وإذا كان قد احتفظ فى ذهنه بصورة الرجل ذى اللحية - الذى كان يتبع نظاما خاصا - وصورة الفتى الذى يرتدى ثياب القربان الأول فقد كان ذلك بدون وعى منه .

كل هذه الإجراءات كانت تتسم بطابع السخرة .. واضطر أن يقطع الممر الرئيسى فى ذلك الجو الخانق من غير أن يتمكن من أن يخلع « جاكتته » ثم ينتظر خمسا وثلاثين دقيقة فى محطة ليون حيث اشترى بعضا من الشطائر والفاكهة وزجاجة من النبيذ.

وفى الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم كان يجلس أمام مدام

جاليه فى مقصورة بالدرجة الأولى وكان القطار ينطلق بهما إلى سانسر فى طريقه إلى مولان .

وكانت الستائر مسدلة والنوافذ مفتوحة ولكن الهواء كان ثقيلا خانقا إلا من نسمة كانت تهب من وقت لأخر فترطب المكان .

وأخرج ميجريه غليونه من جيبه ثم نظر إلى رفيقته وعدل عن التدخين فى حضرتها .

وكانت قد مرت ساعة على إنطلاق القطار عندما لبست لبوس البشر وسألته قائلة :

- كيف تفسر هذا ؟

- حتى هذه اللحظة لا أستطيع تفسير شىء يا سيدتى ، فأنا لا أعلم شيئا أكثر من أن جريمة وقعت فى فندق لالوار فى ليلة ٢٥ - ٢٦ .

« ونحن نمر الآن بفترة الأجازات ، ثم أن نيابات القرى لا تبدى أى عجلة فى مثل هذه الأمور بحيث أن البوليس القضائى لم يعلم بنبأ هذه الجريمة إلا صباح اليوم فقط . هل كان من عادة زوجك أن يرسل إليك بطاقات بريدية ؟

- فى كل مرة يكون متغيبا فيها .

- وهل كان يسافر كثيرا ؟

- ثلاثة أسابيع كل شهر تقريبا ... كان ينتقل إلى روين وينزل فى فندق لابوست وذلك منذ عشرين عاما .. ومن هناك كان ينتقل فى جميع أنحاء نورماندیا مدبرا أمره بحيث يعود إلى روين فى المساء كلما أمكنه ذلك .

- لك ولد واحد ؟

- نعم ... ولد واحد يشتغل فى مصرف بباريس .

- ألا يقيم معك فى سان فارجو ؟

- إن سان فارجو تبعد عن باريس كثيراً ولذلك فهو يقضى أيام الآحاد معنا .

- هل أستطيع أن أنصحك بأن تأكلى شيئاً ؟

فقالت فى ترفع :

- شكـــــراً .

والحق أنه لم يستطع أن يتصورها تقضم شطيرة وتجرع البيرة فى كأس من الورق المقوى كما تفعل غيرها من النساء ، فقد بدا له أن كلمة وقار لها معنى كبير بالنسبة لها .. وهى لم تكن جميلة قط ولكنها كانت عادية الملامح ولو أنها كانت فى ظرف آخر لبدت أكثر فتنة بفضل ما تتسم به سحنتها وما يبدو فى طريقتها بامالة رأسها جانبا .

- ولماذا يقتلون زوجى ؟

- ألا تعرفين له أعداء ؟

- لا أعداء ولا أصدقاء فنحن نعيش فى عزلة عن الناس شأن الذين عرفوا عصرا غير ذلك العصر الوحشى المبتذل الذى جاء فى أعقاب الحرب .

- آه ! ...

كانت الرحلة طويلة . وخرج ميجريه مرتين أو ثلاثا ليأخذ بضعة أنفاس من غليونه . وكانت ياقة قميصه قد ابتلت من تأثير الحر وعرقه المتزايد وراح يحسد مدام جاليه التى لم تلحظ حرارة الجو والتى احتفظت بجلستها منذ بدء الرحلة تماما كما لو كانت استقلت الاوتوبيس لرحلة قصيرة ، وحقيبتها فوق ركبتيها ويداها فوق الحقيبة ورأسها مائل قليلا نحو الباب .

- كيف .... كيف قتل هذا الرجل ؟

- لم تشر البرقية إلى ذلك ... كل الذى أعرفه أنهم عثروا عليه قتيلا فى ذلك الصباح .

هزت مدام جاليه كتفيها وسكتت هنيهة فاغرة الفم تحاول أن تأخذ نفسها .. وأخيراً قالت :

- لا يمكن أن يكون زوجي .. وهذه البطاقة دليل . أليس كذلك . ما كان ينبغى أن أتجشم مشقة الانتقال .

ندم ميجريه لأنه لم يأخذ معه صورة مسيو جاليه التى فوق

المعزف وإن لم يدر سبب هذا الندم. ولعل مرجعه أنه تعذر عليه أن يستعيد فى ذهنه أعلى الوجه . وعلى عكس ذلك كان يتذكر جيدا وبوضوح تام الفم الطويل الرفيع واللحية القصيرة الغزيرة والكتفين غير المتساويتين .

وكانت الساعة قد بلغت السابعة عندما وقف القطار فى محطة تراسى بسانسر . ولكنهما اضطرا أن يقطعا كيلو مترا فى الطريق الرئيسى وأن يجتازا الجسر الذى يمر فوق نهر اللوار. وكان النهر فى هذه الناحية عبارة عن جداول كثيرة من المياه الجارية بين كثبان من الرمل بلون القمح .

وفوق أحد هذه الكثبان وقف رجل يرتدى حلة من الكتان الصينى وراح يصطاد « بالسنارة » وظهر فندق لالوار ذو اللون الأصفر وهو قائم على طول « الرصيف » .

وكانت أشعة الشمس مائلة . ولكن الهواء المشبع ببخار الماء كان ثقيلا غير قابل للتنفس .

وجعلت مدام جاليه تسير فى المقدمة . وكان على مقربة من الفندق رجل يسير جيئة وذهابا ولم يكن هناك شك فى أنه من رجال البوليس وتجهمت أسارير ميجريه .

وكان المكان يزخر بأناس يقضون أجازاتهم ولاسيما الأسر التى تجلس تحت مظلات ويقوم بخدمتهم الساقون بثيابهم

وقبعاتهم البيضاء .

ورأت مدام جالية اللافتة التى عليها إسم الفندق تحيط بها شعارات مختلف الأندية فاتجهت قدما إلى الباب . وتصدى الرجل الذى يسير جيئة وذهابا أمام الفندق لميجريه وسأله :

– هل أنت من البوليس القضائى ؟

– أجـــل .

– إن الجثة نقلت إلى دار الحكومة فأسرع لأن التشريح سيبدأ فى الساعة الثامنة أى بعد دقائق .

* * *

دقائق معدودات يتعرف بعدها بالميت .. كان ميجريه فى هذه اللحظات يسير ويتصرف كما لو كان يقوم بمهمة بغيضة عسيرة ليس فيها أى سحر أو فتنة .

وقد وجد فسحة من الوقت فيما بعد نظر فيها بالتفصيل نظرة ثانية للميت ولم يعقبها غيرها بعد .

وفى مواجهة مقر العمودية كان هناك أناس يجلسون فى شرفة مقهى تحت مظلات من القماش المخطط باللونين الأحمر والأصفر وأمامهم كئوس البيرة الطازجة والنبيذ والجرائد القادمة من باريس .

وكانت تقف فى وسط الميدان ثلاث سيارات وممرضة تسير فى

طريقها إلى الصيدلية . وفى مقر العمودية راحت امرأة تغسل بلاط الفناء بالماء والصابون .

وسأل ميجريه :

- من فضلك ... أين الجثة ؟

- خلف هذا الفناء ... فى ساحة المدرسة . يمكنكما أن تمرا من هنا .

وأشارت إلى باب كتب فوقه بالخط الكبير «البنات» وكان فى مواجهته باب آخر كتب فوقه بالخط الكبير أيضا «البنين ».

وتقدمت مدام جاليه المفتش فى إطمئنان واعتداد غير متوقعين فى مثل هذه المناسبة . ومع ذلك فقد خيل لميجريه أنها إنما تسير هكذا يدفعها نوع من الدوار .

وفى فناء المدرسة أبصر المفتش طبيبا « بسترته » البيضاء، يدخن سيجارة وهو يمشى جيئة وذهابا كمن ينتظر شيئا ما ... وكان يدعك يديه من وقت لآخر .

وأبصر رجلين آخرين يتحدثان فى صوت خافت على مقربة من « طاولة » تمددت فوقها جثة تحت ملاءة بيضاء .

وحاول المفتش أن يتصدى لزميلته المندفعة ولكن لم تتح له الفرصة. فقد إجتازت الساحة وبلغت الطاولة حيث تسمرت لحظة مبهورة الأنفاس ثم رفعت الملاءة عن الوجه فجأة فى تحد ظاهر.

ولم تصرخ ، وتحول الرجلان - اللذان كانا يتبادلان الحديث فى صوت خافت - إليها فى دهشة . وكان الطبيب يضع قفازيه فى يديه فى ههذ اللحظة وهو يصيح أمام أحد الأبواب :

- ألم تأت الآنسة أنجيل بعد ؟

وبينما كان يخلع أحد قفازيه ليشعل سيجارة جديدة بقيت مدام جاليه جامدة بلا حراك متوترة الأعصاب ووقف ميجريه بجوارها متأهباً لنجدتها عند الضرورة .

وتحولت إليه فجأة بوجه حقود وصاحت :

- كيف حدث هذا ؟ ... من الذى جرؤ ؟

- تعالى يا سيدتى .. هو زوجك .. أليس كذلك ؟

وراحت عيناها تدوران فى أرجاء الساحة فتنظر إلى الرجلين ثم إلى الطبيب « بسترته » البيضاء ثم إلى الممرضة التى أقبلت وهى تتهادى ، وأخذت تقول فى صوت أجش :

- ماذا سيفعلون ؟

وإذ رأت ميجريه يتردد فى الرد فى شىء من الارتباك ارتمت على جثة زوجها وشملت الساحة والواقفين بها بنظرة غضب وتحد وصاحت :

- أنا لا أريد .. أنا لا أريد ..

واضطروا إلى حملها بالقوة فعهدوا بها إلى المرأة التى كانت

تغسل البلاط وعندما عاد ميجريه إلى الساحة كان الطبيب يمسك بيده مشرطا وقد وضع على وجهه قناعا على حين كانت المرضة تناوله قنينه صغيرة .

ويغير إرادة منه اصطدمت قدم المفتش بقبعة صغيرة من الحرير الأسود تزينها عقدة بنفسجية وسلسلة من حجر الماس الزائف .

* * *

لم يشهد ميجريه عملية التشريح فقد أوشك النهار أن يولى وقال الطبيب

- عندى سبعة مدعوين الليلة على العشاء .

أما الرجلان اللذان كانا يتبادلان الحديث فهما قاضى التحقيق وكاتبه . وشد القاضى على يد المفتش ثم قال له فى إيجاز :

- سوف ترى رجال البوليس المحليين فهم الذين بدءوا التحقيق .. هذه قضية معقدة شديدة الغموض .

وكانت الجثة عارية تحت الملاءة التى رفعتها الممرضة .

ولم تدم المواجهة أكثر من لحظات . كانت الجثة مطابقة للصورة التى رسمها فى ذهنه بناء على الصورة الفوتوغرافية التى رآها فوق المعزف ... جثة طويلة بارزة العظام جوفاء الصدر شأن موظفى المكاتب ، ذات بشرة صفراء يتخللها شعر

داكن وإن كان شعر الصدر يضرب إلى الإحمرار .

وكان نصف وجهه سليماً أما النصف الآخر وهو النصف الأيسر فقد أطاحت بمعالمه طلقة نارية .

وكانت عيناه مفتوحتين ولا يكاد الناظر إليهما يجد فرقا يذكر بين حدقتيهما السوداوين وحدقتى الصورة .

كان يتبع نظاما خاصا .. هكذا قالت مدام جاليه .

وتحت الثدى الأيسر ظهر جرح مستقيم يدل مظهره على أنه أثر نصل حاد .

وتململ الطبيب خلف ميجريه فى فروغ صبر وسأل :

– هل ينبغى أن أرسل التقرير إليك ؟ . ما هو العنوان ؟

– فندق لالوار .

وكان القاضي وكاتبه ينظران إلى ناحية أخرى فى صمت .. وأراد ميجريه أن يخرج ولكنه أخطأ فدخل بابا آخر ووجد نفسه في آخر فصول المدرسة بين المقاعد .

كان الجو فى الفصل رطبا ووقف المفتش لحظة ينظر إلى الصور الملونة المعلقة والتى تمثل « الحصاد » و « المزرعة فى الشتاء » و « يوم في السوق » . وعلى أحد الرفوف رصت مجموعات من الموازين والمكاييل مصنوعة من الخشب والقصدير والحديد كل بحسب أحجامها .

وجفف المفتش عرقه . وبينما كان يجتاز العتبة التقى بمفتش بوليس نيفر ، وكان يبحث عنه .

- حسنا .. أنت حضرت أخيراً .. أستطيع الآن أن ألحق بزوجتي بجرينوبل .. تصور أنني كنت اتأهب للقيام بأجازتي صباح أمس عندما أبلغوني الجريمة ! .

- هل كشفت شيئاً ؟

- لا ... سوف ترى أنت نفسك أنها قضية غريبة شديدة الغموض ... إذا شئت أن نتناول العشاء معا فسوف أذكر لك كل التفاصيل إن كان يمكن أن نسمي ما وصلنا إليه بتفاصيل ... لم يسرق منه شيء .. ولم ير أحد شيئا وكذلك لم يسمع أحد شيئاً ، ومن يقل لنا لماذا قتل مسيو جاليه هذا فهو رجل ذكي حقا .. ثمة شيء آخر يدعو إلى الغرابة إلا أنه مع ذلك لن يقودنا إلى شيء ... ذلك أنه عندما كان ينزل في فندق لالوار ، وكان هذا يحدث مرارا ... كان يفعل ذلك تحت اسم مسيو كليمان من ذوي الأملاك بأورليان .

وقال ميجريه :

- هلم بنا نتناول مشروبا .

وتذكر جو الشرفة المغري وروادها الجالسين تحت المظلات أمام كئوس البيرة والنبيذ .. تلك الشرفة التي ود وهو يمر بها

لو يلجأ إليها من حر اليوم الخانق . ومع ذلك فعندما ألفى نفسه جالسا بها أمام كأس من البيرة لم يشعر بالراحة التى كان يتوق إليها .

وقال مفتش تيفر :

- إن التحقيق لم يسفر عن شىء .. لم نجد ولو قشة واحدة نتعلق بها .. ولا أى شىء يخرج عن المألوف اللهم إلا أن ذلك الرجل قد قتل .

وراح يتحدث على هذا النمط مدة طويلة دون أن يدرى أن المفتش لا يصغى إليه .

وهناك أشخاص لا يلتقى بهم المرء إلا مرة واحدة عابرة فى الشارع ومع ذلك تبقى ذكراهم عالقة بالذهن لا تغيب .. ولم ير ميجريه أميل جاليه إلا فى صورة فوتوغرافية ثم رآه بعد ذلك جثة مصفرة وقد ضاع نصف وجهه ومع ذلك فقد كانت الصورة هى التى رسخت أكثر فى ذهنه . وقد راح يحاول أن يبعث فيها الحياة وأن يتصور مسيو جاليه وجها لوجه مع زوجته فى غرفة الطعام بسان فارجو .. أو خارجا من « فيللته » ليستقل القطار من المحطة .

وفى ومضات سريعة .. كان أعلى الوجه يزداد وضوحا ، وخيل لميجريه أنه يرى جيوبا تحت جفنيه فغمغم يقول فى صوت

خافت :

- أراهن أنه كان مريضا بالكبد .

فقال مفتش نيفر في إمتعاض :

- إنه على كل حال لم يمت متأثراً من مرض الكبد .. فان مرض الكبد لا يطيح بنصف الوجه ولا يثقب القلب .

(٢)

ذو النظارة

لم تبق غير جماعتين أو ثلاث حول الموائد . ومن خلال نوافذ الغرف بالدور الأول تناهت إلى الرجلين احتجاجات الأطفال الذين يريد أهاليهم إرغامهم على النوم قسرا ... وسمع ميجريه صوت امرأة تقول :

- هل رأيت ذلك الرجل البدين ؟ إنه من رجال البوليس فاذا لم تلزم الهدوء فسوف يقتادك إلى السجن .

وبينما كان يتناول طعامه وهو يلقى حوله نظرات فاحصة سمع طنينا متتابعا .. ولم يكن ذلك الطنين غير المفتش جرنبيه الذى طفق يتكلم لا لشىء إلا حبا فى الكلام .

- آه ... لو انهم سرقوا منه شيئا ما كانت المسألة إلا لتكون من البساطة بمكان.. اليوم يوم الإثنين.. وقد ارتكبت الجريمة فى ليلة الأحد وكان الأهالى يحتفلون بالعيد .. وفى مثل هذه الليالى تزخر المدينة بالأغراب الذين يفدون من كل فج وصوب،

هذا فضلا عن « المهرجين » ورجال الملاهى ، ومن عادتى أن ارتاب فى هؤلاء الآخرين فأنت لا تعرف الريف كما أعرفه أنا أيها القوميسير ... أننا نلتقى فيه أحيانا بأناس أشد سوءا من الرعاع الذين تزخر بهم أحياء باريس السفلى .

وقاطعه ميجريه قائلاً :

– صفوة القول أنه لولا العيد لكشفت الجريمة قبل ذلك

– ماذا تعنى ؟

– لم يسمع أحد صوت الرصاص وذلك بسبب البارود والصواريخ ... ألم تقل لى أن جاليه لم يمت من تأثير الجرح الذى أصيب به فى رأسه ؟

– إن الطبيب الشرعى يدعى ذلك . وسوف يؤكد التشريح هذه النظرية . لقد أصيب الرجل برصاصة فى رأسه . ولكن كان يبدو أنه كان فى مقدوره أن يعيش ساعتين وثلاثا بعد ذلك لولا أن اصابته على الفور طعنة خنجر فى قلبه فمات توا ... وقد عثرنا على الخنجر .

– والمسدس ؟

– بحثنا عنه عبثاً .

– وهل كان الخنجر فى الغرفة ؟

– على بعد بضعة سنتيمترات من الجثة . وهناك «كدمات»

على قبضة جاليه اليسرى . ولا ريب انه بعد أن أصابته الرصاصة شهر الخنجر وأسرع لملاقاة غريمه ... ولكن جرحه كان قد أضعفه فتمكن القاتل من أن يلوى يده ويحولها فيغرز النصل فى صدره ... ليس هذا رأيى أنا فحسب ولكنه رأى الطبيب الشرعى كذلك .

– إذن لولا العيد ما مات جاليه بالتأكيد .

لم يحاول ميجريه أن يطلق العنان لخياله وراء استنتاجات بارعة ولا أن يثير دهشة زميله القروى ... كانت هذه الفكرة تلازمه وتلح عليه فتتبعها فى فضول ليرى ما قد يتفتق عنها .

أولا لولا صخب الملاهى وضوضاء الجياد الخشبية وصوت البارود والصواريخ لسمع الجميع الطلقة النارية ولأسرع نزلاء الفندق إلي جاليه ، ولعلهم كانوا يتمكنون من التدخل قبل أن تصيبه طعنة الخنجر .

وجن على العالم الليل ولم يعد المرء يرى غير إنعكاس ضوء القمر على النهر والمصباحين القائمين فى كل ناحية من الجسر . وبداخل المقهى كان بعض النزلاء مازالوا يلعبون البلياردو .

واختتم المفتش جرنييه حديثه قائلاً :

– هذه قضية غريبة ... اننا أوشكنا على الساعة الحادية

عشرة أليس كذلك ؟ . ان قطاري يقوم في الحادية عشرة واثنتين وثلاثين دقيقة والطريق من هنا إلى المحطة سوف يستغرق ربع ساعة .. كنت أقول لو أن القاتل سرق شيئا ما ...

- في أي ساعة تغلق الملاهي أبوابها ؟

- في منتصف الليل ... كما تقضي النظم واللوائح بذلك .

- اذن لقد تمت الجريمة قبل منتصف الليل وقبل أن يأوى جميع النزلاء إلى غرفهم .

كان كل من الرجلين يتتبع مجرى أفكاره . واستمر الحديث على هذا النحو . وعاد المفتش جرينيه يقول :

- والغريب في الأمر أنه كان يطلق على نفسه اسم مسيو كليمان ... ولا ريب أن صاحب الفندق أخبرك بذلك فقد كان يأتي من وقت لآخر كل ستة شهور تقريبا . وقد نزل بالفندق أول مرة منذ عشر سنوات تحت اسم كليمان ، من ذوي الأملاك باورليان

- ألم تكن معه حقيبة كتلك التي يستعملها الوكلاء التجاريون ؟

- لم الحظ شيئا من ذلك ... ولكن ، سوف يخبرك صاحب الفندق هو نفسه ... مسيو تارديفون ... تعال لحظة ... هذا هو القومسير ميجريه من باريس وهو يريد أن يلقى عليك سؤالا

أكان مع مسيو كليمان ، عندما نزل بالفندق حقيبة من تلك الحقائب التى يستخدمها الوكلاء التجاريون ؟

وقال القوميسير بلهجة التحديد :

– تحتوى على أدوات معدنية ؟

– لا .. كان يأتى ومعه دائماً حقيبة سفر لا تضم غير ثيابه لأنه كان كثير العناية بنفسه ... إننى لم أره مرتين متتابعتين مرتيديا الصدير فقط ... كان أغلب الأوقات يلبس « سترة » سوداء قاتمة أو رمادية اللون .

– شكرا لك .

وعاد الفكر بميجريه إلى شركة نييل التى كان مسيو جاليه يعمل وكيلا عنها لمقاطعة نورمانديا ... وكانت هذه الشركة متخصصة فى صنع الأدوات المعدنية للهدايا كاللعب والأقداح والكئوس وسلال الفاكهة وأكواب الشاى وأطباق الحلوى وكلها مصنوعة من المعدن المطلى بالفضة .

وازدرد قطعة الجاتو الصغيرة التى أحضرتها إليه الخادمة ثم حشا غليونه وسأله مسيو تاردينون قائلاً :

– ألك فى كأس من الخمر ؟

– لا بـــأس .

وأسرع صاحب الفندق فأتى بالزجاجة وجلس إلى مائدة

الرجلين قائلاً :

- اذن فأنت القوميسير الذى سيقوم بالتحقيق ؟ يا لها من جريمة ... ولا يقع هذا إلا فى بداية الموسم ... ولى أنا ؟ ... لقد غادر هذا الفندق هذا الصباح سبعة من النزلاء وانتقلوا إلى فندق لاكومرس بسبب هذه الجريمة . نخب صحتكما أيها السيدان ... أما بخصوص مسيو كليمان الذى اعتدت أن أدعوه بهذا الإسم فمهما يكن فمن الذى كان يشك فى أن هذا الاسم ليس اسمه الحقيقى .

وخلت الشرفة من الناس تقريبا وأخذ أحد العمال ينقل الصناديق الصغيرة التى زرعت فيها الأشجار التى تحيط بالمناضد إلى داخل الفندق . ومر قطار بضاعة بالشاطىء الآخر فى هذه اللحظة وتبع الرجال الثلاثة أنواره الحمراء التي راحت تبتعد تحت سفح الربوة .

وكان مسيو تارديفون قد بدأ حياته طباخا فى أحد القصور الكبرى وقد ظل محتفظا حتى ذلك الوقت بتلك المهابة التى أضفتها عليه وظيفته تلك وأنحنى فوق محدثه وقال وهو يدفىء كأسه فى راحتيه .

- وأغرب ما فى الأمر أنه لولا المصادفة ما وقعت الجريمة.

فأسرع جرينيه يقول وهو يشير بعينيه إلى القوميسير :

- هل تعنى الصيد والملاهى ؟

- لا أدرى ما الذى تعنيه ... لا .. إن مسيو كليمان عندما أقبل صاح السبت أعطيته الغرفة الزرقاء التى تطل على طريق العشب كما نسميه .. وهو الطريق الذى تراه إلى اليسار ... وندعوه بهذا الاسم لأننا لا نستخدمه منذ وقت طويل فاعشوشبت الأرض وامتلأت بالكلأ .

فسأله ميجريه :

- ولماذا لا تستخدمونه ؟

- هل ترى هذا الحائط الذى يقوم مباشرة بعد الطريق ... إنه سور « فيللا » مسيو دى سان هيلير ... وأهالى البلد يشيرون إليها باسم القصر الصغير ليميزوها عن القصر الكبير .. قصر ماسر القديم القائم فى أول الشاطىء ، وهو بيت عتيق يمكننا أن نرى أبراجه ونحن وقوف هنا .. وبه حديقة جميلة كانت تمتد حتى مكاننا هذا فيما سبق . قبل أن يقوم فندق لالوار فى هذا المكان . وكان الباب الحديدى الواقع فى آخر ممر العشب هو الباب العمومى « للفيللا » ولكنهم أغلقوه وأقاموا بدلا عنه بابا آخر على « الرصيف » على بعد خمسمائة متر ، وصفوة القول ، أعطيت مسيو كليمان الغرفة الزرقاء وتطل نوافذها على هذه الناحية والمكان هادىء ولا يمر

ستة أمتار على الأقل . وبما أن الغرفة طولها خمسة أمتار فقط

فذلك يدل على أن القاتل كان يقف بالخارج . وأنه انتهز فرصة خلو طريق العشب من المارة .. إنه كان بمقدوره أن يدخل الفناء ليرتكب جريمته ولكن لو أن هذا حدث لكنا سمعناه .. هل لكما في كأس أخرى أيها السيدان؟ على حساب الفندق طبعا .

وقال ميجريه :

- اثنتان :

فسأله جرنييه :

- ماذا تعنى ؟

- مصادفتان ... الأولى : العيد القومى .. عدم صوت الطلقة في صخبه وضجته . والأخرى كانت جميع الغرف المطلة على الفناء مشغولة ...

وتحول إلى مسيو تارديفون الذى كان قد فرغ من ملء الكئوس وقال :

- كم نزيلا لديك الآن ؟

- أربعة وثلاثون .. وبينهم الأطفال .

- ألم يغادر الفندق أحد بعد وقوع الجريمة ؟

- سبعة أشخاص كما قلت لك .. أسرة من ضواحى باريس، من سان دنيس على ما أعتقد .. ميكانيكى وزوجته وحماته وأخت زوجته وأولاده ... هم أناس من السوقة ليسوا على

شيء من الاخلاق أو الأدب وقد سررت إذ تخلصت منهم بانتقالهم إلى فندق لاكومرس فلكل عملا. سوف يقول لك الجميع أن نزلائى من صفوة القوم .

- فيم كان المسيو كليمان يقضى أيامه ؟

- يتعذر على أن أقول لك ذلك . كان يمشى على قدميه ... وقد خيل إلى ذات وقت أن له فى الضواحي ولدا غير شرعى . مجرد ظن لأن المرء يحاول أن يقف على كل شيء على الرغم منه . كان رجلا مؤدبا وإن كان يبدو دائما حزينا .. لم أره قط يجتمع بغيره من نزلاء الفندق على مائدة الضيوف لأن لدينا مائدة للضيوف فى الشتاء ... كان يفضل دائما الجلوس بمعزل عن الناس ويتناول طعامه فى ركن وحده .

أخرج ميجريه من جيبه مفكرة صغيرة مجلدة بقطعة من القماش الأسود دون فيها بالقلم الرصاص هذه الملاحظات .

١- برقية إلى روين .

٢- برقية إلى شركة نيبل .

٣- فحص الفناء .

٤- استقاء المعلومات عن قصر دى سان هيلير .

٥- البصمات الموجودة على الخنجر .

٦- قائمة باسماء النزلاء .

٧- أسرة الميكانيكى بفندق لاكومرس .

٨- الناس الذين غادروا سانسر يوم الأحد ٢٦ .

٩- طواف منادى البلد للإعلان عن مكافأة لمن صادف مسيو جاليه فى طريقه يوم السبت ٢٥ .

ابتسم المفتش نيفر إبتسامة متكلفة وراح يتابع بعينيه كل حركات ميجريه . وسأله أخيراً قائلاً .

- حسنا ؟ ... هل كونت لنفسك فكرة ؟

- لا .. سأرسل برقيتين ثم أذهب إلى فراشى .

ولم يعد بالمقهى غير بضعة أشخاص من أهالى البلد راحوا يفرغون من لعبة البلياردو . وذهب ميجريه فألقى نظرة على طريق العشب الذى كان فى وقت من الأوقات طريقا عاما يؤدى إلى قصر دى سان هيلير والذى مازالت أشجار القرو قائمة على جانبيه .

ورأى الطريق تغطيه طبقة كثيفة من الأعشاب والكلأ وعشب الأنجره الأبيض . وكان الوقت ليلا فلم يستطع أن يميز شيئاً .

وتأهب جرنييه للذهاب إلى المحطة وعاد ميجريه أدراجه ليودعه ورد عليه جرنييه قائلاً :

- أرجو أن توفق ...ولكنى لا أخفى عليك أن هذه قضية

قذرة أليس كذلك ؟ .. ليس فيها ما يثير... وكذلك ليس فيها ما يمكن أن نتعلق به ... الحق أنني أرثى لك .

وسار القوميسير ميجريه إلى غرفة بالدور الأول حيث بدا الناموس موسيقاه حول رأسه . كان محنقا ، فان المهمة التى تنتظره كانت مهمة تافهة تدعو إلى الانقباض .

ومع ذلك فما كاد يستلقى على الفراش حي راح يستعرض في مخيلته وجه جاليه بدلا من أن ينام ولم يميز منه غير وجنته تارة وأسفل الوجه تارة أخرى .

وتقلب مرارا فى أرتباك فوق الملاءات الرطبة . وكان يتناهى إلى سمعه خرير النهر الذى تتلاطم أمواجه على طول الشاطىء .

كان لكل قضية جنائية مميزاتها ، يصل إليها إن عاجلا وإن آجلا وتقوده غالبا إلى مفتاح السر .

أفتكون مميزات هذه القضية دون المتوسط ؟

حياة دون المتوسط في سان فارجو ... «فيللا» دون المتوسط ديكور ضيق ومعه صورة الفتى بملابس القربان الأولى وصورة الأب « بسترته » الشديدة الضيق فوق المعزف .

وكذلك حياة دون المتوسط فى سانسر ... اصطياف رخيص وفندق من الدرجة الثانية .

كل التفاصيل والحقائق تجتمع فتؤكد هذه الصورة .

وكيل شركة نيبيل ...فضيات زائفة.. ترف زائف .. نمط زائف .

العيد القومى .، والمهرجون .. والبارود والصواريخ .

زد على ذلك الوقار والترفع من مدام جاليه التى تدحرجت قبعتها المصنوعة من الحرير الأسود تزينها عقدة بنفسجية وسلسلة من حجر الماس الزائف .

أحس ميجريه بارتياح كبير عندما علم في الصباح أن الأرملة استقلت أول قطار عائدة إلى سان فارجو وأن التابوت الذى يضم رفات إميل جاليه فى طريقه بدوره على إحدى سيارات النقل إلى «فيللا» مارجريت .

كان يريد أن ينتهى من هذه القضية بأسرع ما يمكن فقد سافر الجميع ... القاضى والطبيب ذو المدعوين السبعة والمفتش جرنييه ويقى هو وحده وأمامه مهمة معينة لابد له من إنجازها.

أولاً انتظار الرد على البرقيتين اللتين أرسلهما مساء الأمس ثم فحص الغرفة التى ارتكبت فيها الجريمة والتحرى عن الذين تدور حولهم الشبهات نتيجة لذلك .

ولم يتأخر رد روين فقد جاءت برقية من بوليس المدينة تقول:

« سألنا موظفى فندق لابوست وأجابت عاملة الخزينة ايرما ستروس بأن المدعو إميل جاليه ارسل إليها بطاقات بريدية داخل مظروف وطلب منها أن تعيد ارسالها إلى سان فارجو .

وكان ينقدها مائة فرنك شهريا للقيام بهذا العمل . وهى تفعل ذلك منذ خمس سنوات وتعتقد أن عاملة الخزينة السابقة كانت تقوم بالعمل نفسه هي الأخرى .

وبعد نصف ساعة ، أى حوالى العاشرة برقية أخرى من شركة نييل تقول :

« اميل جاليه ترك العمل بالشركة منذ سنة ١٩١٢ » .

وتناول ميجريه فطوره فى اللحظة التى بدأ فيها المنادى جولته فى أنحاء البلد . وبعد أن فرغ من طعامه خرج يفحص فناء الفندق فلم ير فيه شيئاً غير عادى يثير الانتباه . وأقبل بعضهم ليخبره أن عامل الاشارة يريد أن يتحدث إليه .

وقال له العامل :

– كنت فى الطريق المؤدى إلى سان تيبو عندما رأيت مسيو كليمان . وكنت أعرفه إذ سبق أن التقيت به قبل ذلك . وأقبل شاب من طريق المزرعة ولم يلبث أن التقى به وجها لوجه. وكنت على مسافة مائة متر تقريبا ولكنى أدركت من حركاتهما واشاراتهما أنهما يتشاجران .

– وهل افترقا بعد ذلك ؟

– لا . بل سارا معا جزءا من الطريق نحو الشاطىء . ثم عاد مسيو كليمان وحده . وبعد نصف ساعة من ذلك رأيت الشاب فى فندق لاكومرس .

– وما هى أوصافه ؟

– هو شاب نحيف طويل القامة يضع على عينيه نظارة «قشرة» .

– وماذا كان يرتدى ؟

– لا أستطيع أن أحدد ... ولكننى أظن أنه كان يرتدى حلة رمادية أو سمراء ... هل لى الحق فى الخمسين فرنكا .

ونقده ميجريه الخمسين فرنكا ثم سار إلى فندق لاكومرس حيث تناول مشروبا بالأمس .

ودلت تحرياته على أن الشاب تناول فطوره فى الفندق يوم السبت ٢٥ من يونيه ولكن قيل له ان الجرسون الذى قام على خدمته فى أجازة وان مسكنه يبعد نحو عشرين كيلو مترا . وقال يسأل الموظف الذى رد عليه :

– هل أنت واثق أنه لم يقض الليل بالفندق ؟

– لو أنه فعل لكان اسمه مقيدا فى السجل ..

– ألا يذكره أحد ؟

وتذكرت عاملة الخزينة أن شابا طلب مكرونة من غير زبدة وأن الطاهى أعدها له وقالت :

– كان جالسا فى هذا المكان ... إلى يسار العمود . وكان يبدو من هيئته أنه مريض .

وكان الحر قد بدأ يظهر ، ومن ناحية أخرى كان ميجريه قد تخلص من الملل والضيق اللذين يحس بهما منذ الصباح ... وقال يسأل :

- أهو طويل الرأس ... رفيع الشفتين ؟

- ان له فما كبيرا تنطق ثناياه بالازدراء والاحتقار . لم يشأ أن يتناول قهوة أو مشروبا بعد الطعام .. هناك عملاء كثيرون على شاكلته كما تعرف .

لماذا استعاد ميجريه إلى ذهنه صورة الفتى المرتدى القربان الأول ... لا يدرى .

كان فى الخامسة والأربعين من عمره وقد قضى نصف حياته فى التنقل فى الفروع المختلفة لادارة الأمن العام ... بوليس الآداب والبوليس المدنى وبوليس محطات السكك الحديدية وبوليس الميسر وغير ذلك حتى انتهى به المطاف أخيراً فى إدارة البوليس القضائى ... وكانت كل هذه التنقلات والتغييرات كفيلة بأن تقتل فيه كل ارادة غير ثابتة للتصوف ولانتزاع الايمان من وجدانه .

ومع ذلك فلم يمنع كل هذا من أن تتعاقب صورة الاب والابن طوال الاربع والعشرين ساعة تقريبا وأن تلح عليه كل منهما تماما كما تلح هذه الجمل العادية التى نطقت بها مدام

جاليه : « كان يتبع نظاما خاصا » .

وسار إلى مكتب البريد وليس فى رأسه فكرة معينة واتصل بعمدة سان فارجو وتحدث قائلاً :

- ألو ... هنا البوليس القضائى ... هل تستطيع أن تذكر لى متى يتم اجراءات دفن اميل جاليه ؟

- غدا ، فى الساعة الثامنة صباحا .

- فى سان فارجو ؟

- أجـــــل .

- أتسمح لي بسؤال آخر ؟ ... من الذى يتحدث ؟

- أنــا المعلــم .

- هل تعرف مسيو جاليه الابن ؟

- لقد رأيته كثيرا ... وقد جاءنى هذا الصباح ومعه بعض الأوراق .

- ما هى أوصافه ؟

- ماذا تعنى ؟

- هل هو طويل ؟ ... نحيف ؟

- نعم . هو كذلك .

- وهل يضع على عينيه نظارة ؟

- انتظر ... اننى أتذكر الآن .. نظارة « قشرة »

- ألا تعرف ان كان مريضا .

- وكيف أعرف ذلك ؟ . انه شاحب اللون على كل حال .

- أشكـــرك .

وبعد عشر دقائق كان القوميسير يعود من جديد إلى فندق لاكومرس .

- أيتها السيدة .. عميل يوم السبت ؟ .. هل كان يلبس نظارة ؟ .

واستعادت عاملة الخزينة ذكرياتها ولم تلبث أن هزت رأسها قائلة :

- نعم ... لا ... الحق اننى لا أدرى .. فإنه يقصدنا أناس كثيرون فى الصيف . إن ما جذب نظرى إليه هو فمه .. وأذكر أننى قلت للجرسون بهذه المناسبة ان له فما أشبه بفم الضفدع .

وقضى وقتا طويلا حتى إهتدى إلى عامل الاشارة ووجده أخيرا يحتسى الشراب مع بعض الرفاق فى مشرب خلف الكنيسة وسأله قائلاً :

- قلت لى ان الشاب كان يلبس نظارة ؟

- الشاب ، نعم ... أما العجوز فلا .

- أى نوع من النظارات ؟

- نظارة مستديرة ذات دوائر سوداء .

كان ميجريه قد أحس بالسعادة والارتياح عندما نهض فى صباح اليوم وعلم أن الميت ومدام جاليه انتقلا إلى سان فارجو وأن القاضي والطبيب ورجال البوليس غادروا سانسر . وسره أن يبقى وحده أمام قضية جوهرية والا يستعرض فى ذهنه بعد ذلك رأس الرجل العجوز ذى اللحية القصيرة .. واستقل القطار فى الساعة الثالثة إلى سان فارجو .

لم ير من إميل جاليه أولا إلا صورة ثم لم يلبث أن رأى نصف وجهه .

أما الآن فهو لن يجد أمامه غير تابوت مغلق .

وبينما كان القطار ينطلق كان يحس أنه يجزى خلف الميت .

وفى سانسير جلس مسيو تارديفون إلى خير عملائه وقال فى خيبة أمل كبيرة :

– رجل رزين تبدو عليه سيماء الجد ... رجل مثلى ومثلك وهاهو ذا يهرب من غير أن يدخل الغرفة التى وقعت فيها الجريمة .. هل تريد أن ترى الغرفة التي مات فيها ذلك الرجل ... هذا غريب ... ومع ذلك فان بوليس نيفر وحده هو الذى قام بالاجراءات كما ينبغى ... فقبل أن ينقلوا الجثة رسموا حول موضعها دائرة على الأرض بالطباشير .. حذار ... لا تلمس شيئاً .. فلا يمكن أن ندرى إلى أين تقودنا مثل هذه الأمور .

(٣)

إجابات هنرى جاليه

قضى ميجريه الليل بمنزله بشارع ريشار لينوار وغادره فى الصباح الباكر من يوم الأربعاء إلى سان فارجو حيث بلغها قبيل الثامنة صباحا . وكان قد خرج من المحطة عندما تذكر شيئاً فعاد أدراجه وسأل الموظف :

- هل كان مسيو جاليه يستقل القطار غالبا ؟ .

- الأب أم الابن ؟.

- الأب .

- كل شهر . كان يغيب ثلاثة أسابيع ويقطع تذكرة درجة ثانية إلى روين .

- والابن ؟ .

- انه يأتى مساء كل يوم سبت تقريباً من باريس ومعه تذكرة ذهاب وإياب درجة ثالثة ويعود يوم الأحد مستقلا آخر قطار ... من الذى كان يتوقع ؟ .. اننى لا أزال أراه أول أحد من يونيه

ولم يكن هناك أحد في الأرجاء غير رجل يجر عربة يد وقد
توقف عندما رأى عربة نقل الموتى، يدفعه الفضول إلى أن يرى

الجنازة من غير شك .

وكان جرس الباب قد غطى بقماش أبيض وجلل الباب العمومى بالسواد ونقش الحرفان الأولان من إسم الميت بالبرودرى الفضى.

ولم يكن ميجريه يتوقع كل هذه المظاهر . وعلى يسار الباب ، فى الفناء ، كانت هناك « صينية » وضعت بها بطاقة عمدة سان فارجو وقد ثنى أحد أطرافها .

وكان الصالون الذى سبق أن استقبل فيه القوميسير قد حول إلى معبد مؤقت فنقلت قطع الأثاث إلى غرفة الطعام وغطيت الجدران بالستائر السوداء ووضع التابوت فى وسط الغرفة تحيط به الشموع .

ولم يكن فى مقدور ميجريه أن يقول لماذا بدا له كل هذا العمل غامضا مبهما ، ولعل ذلك لأنه لم يكن هناك أى أثر للمعزين ولأنه شعر بأن أحدا منهم لن يأتى على الرغم من أن عربة نقل الموتى واقفة بالباب .

ثم هذه البطاقة وحدها فى «الصينية» . وكل هذه الشموع الفضية ، ومدام جاليه على يمين التابوت بثياب الحداد وقد غطت وجهها بغلالة رقيقة سوداء وأمسكت بيدها مسبحة قاتمة

على حين وقف هنرى إلى اليسار بثياب الحداد هو الآخر .

وتقدم ميجريه فى صمت وانحنى وأمسك بقشة من نبات البقس دسها فى الماء المقدس ورشّ به التابوت وأحس بأن الأم والابن يتابعانه بعينيهما ولكن لم ينطق أحدهما بكلمة .

وعندما فرغ ذهب فوقف فى ركن من الغرفة مترقبا فى الوقت نفسه الأصوات التى تتناهى إليه من الخارج والتعبيرات المختلفة التى ترتسم على وجه الشاب . كانت الجياد تضرب الأرض بحوافرها فى بعض الأحيان وعمال نقل الموتى يتهامسون بجوار النافذة فى الخارج . وفى الغرفة التى ينتظر فيها الميت والتى لا تضيؤها إلا الشموع كان وجه الابن غير المتناسق يبدو أكثر تنافرا بسبب كل ذلك السواد الذى لا يتناسب مع بياض بشرته المريضة .

كان شعره ملتصقا بفروة رأسه يقسمه فرق إلى قسمين وكان مرتفع الجبين برأسه حدبة ظاهرة .. وكانت عيناه تدوران خلف زجاج النظارة السميك فى قلق متهربتين من نظرة ميجريه .

وكانت مدام ميجريه تمسح عينيها بمنديل مجلل بالسواد من وقت لآخر تحت الغلالة الرقيقة ، وحدقتا هنرى لا تستقران فى مكان . كانتا تنزلقان على الأشياء بعيدتين عن القوميسير الذى تنهد فى ارتياح عندما سمع وقع خطوات عمال نقل الموتى.

وأصطدمت النقالة فيما بعد بأحد الجدران وشهقت مدام جاليه شهقة قصيرة واكتفى ابنها بأن ربت على كتفها وهو ينظر إلى مكان آخر .

وكان التباين شديدا بين عظمة عربة نقل الموتى من الدرجة الثانية وبين الشخصين اللذين يسيران يتقدمهما تشريفاتى تنطق قسماته بالحيرة .

كان الجو شديد الحرارة ورسم صاحب عربة اليد علامة الصليب ثم انطلق فى طريق جانبى على حين سارت الجنازة كنقطة سوداء فى الشارع الواسع الذى يسع فرقة بأكملها .

* * *

ترك ميجريه الجنازة فى الطريق على حين تجمع بعض الفلاحين فى الميدان ، ودخل دار العمدة حيث لم يجد أحداً . واضطر أن يبحث عن المعلم فى فصله ، وكان يعمل فى الوقت نفسه مساعدا للعمدة . وقد ترك الأطفال لحظة وأسرع إلى ميجريه وقال له :

– كل ما يمكننى أن أؤديه لك هو أن أطلعك على ما هو مقيد بالسجل .. اقرأ ...

« اميل ايفس جاليه المولود فى نانت سنة ١٨٧٩ تزوج فى باريس فى أكتوبر ١٩٠٢ باورور بريجان. وقد أنجبا ولدا اسمه

هنري ولد في باريس سنة ١٩٠٦ وهو مقيد في مكتب سجل مدني الدائرة التاسعة » .

- ألا يحبهم أهل البلد ؟ .

- أعني أن آل جاليه الذين أقاموا « الفيللا » في سنة ١٩١ . عندما تم تقسيم الغابة لم يظهروا ميلا إلى زيارة أحد ولم يشجعوا أحداً على زيارتهم ... إنهم أناس متكبرون إلى حد كبير .. وقد حدث أن اصطدمت يوما بزورقي على بعد أقل من عشرة أمتار بزورق مسيو جاليه .. لو إنني احتجت إلى شيء لأعطانيه بطيب خاطر ولكن ما كان في مقدوري أن أظفر منه بخمس كلمات متتابعة .

- بكم تقدر نفقات معيشتهم شهريا .

- من المتعذر تحديد ذلك لأنني لا أعرف كم ينفق في رحلاته ولكن هنا فقط لا تقل نفقاتهم عن ألفي فرنك شهريا ... لو أنك رأيت « الفيللا » لتحققت أنت نفسك أنه لا ينقصهم شيء.. فهم يحضرون كل ما يحتاجون إليه من حبوب وبقول وتموين من كوربي أو من ميلون.. ثم شيء آخر ينبغي أن ...

ورأى ميجريه في هذه اللحظة من خلال النافذة الجنازة تدور بالكنيسة وتدخل المقبرة فشكر محدثه وسمع وهو يسير أول «مجرفة» من التراب تسقط فوق التابوت .

وتحاشى الظهور وداز بالكنيسة ليصل إلى «الفيللا» .
طريق آخر حيث حرص على أن يصل بعد آل جاليه بقليل
وفتحت له الخادم الباب ونظرت إليه مترددة وبدأت تقول :

– ان سيدتى لا تستطيع ...

– أخبرى مسيو هنرى أننى أريد أن أتحدث إليه .

وتركته الخادمة بالخارج . وبعد لحظات ظهرت سحنة الشا
فى الممر وتقدم نحو الباب ونظر إلى ميجريه متسائلاً ثم قال

– ألا يمكن أن تؤجل هذه الزيارة إلى وقت آخر ..
والدتى مرهقة .

– لابد لى من التحدث إليك اليوم . والتمس معذر
لاصرارى .

تحول هنرى إلى الداخل على كره منه وتبعه ميجريه . وتر
الشاب أمام الأبواب . وأخيراً دفع باب غرفة الطعام حي
تكدست قطع الأثاث بطريقة جعلت من المتعذر السير فيها .

ورأى ميجريه صورة الشاب وهو بثياب القربان الأو
موضوعة على المائدة وبحث عبثا عن صورة جاليه .

ولم يجلس الشاب ولم ينطق بكلمة ولكنه خلع نظار
ليمسح زجاجها فى ضيق على حين تحركت حواجبه بفعل الضو
الذى طالع عينيه فجأة .

- لاشك أنك تعرف أننى مكلف بالبحث عن قاتل أبيك .

- ولهذا يدهشنى أن أراك هنا فى وقت كان ينبغى أن تتركنا فيه أنا وأمى ولو بدافع اللياقة .

ووضع هنرى نظارته على عينيه . ولم تختلج عضلة واحدة من عضلات وجهه البارزة العظام الواضح القسمات والذى تشيع فيه امارات الحزن والكآبة . واعتمد بمرفقة على المعزف المغطى بقطعة من القماش الأخضر .

وقال ميجريه :

- أردت أن أعرف منك بعض المعلومات عن أبيك وعن الأسرة كلها .

لم يفتح هنرى فمه ولم يتحرك وبقى ساكنا جافا مكتئباً .

- هل لك أن تقول لى أولاً أين كنت يوم السبت ٢٥ من يونية فى نحو الساعة الرابعة مساء ؟

- قبل أن أرد عليك سألقى عليك سوالا . هل هناك ما يرغمنى فى مثل هذه اللحظة على استقبالك والرد عليك ؟ .

دائما الصوت المحايد نفسه المبنى على الضيق كما لو أن كل مقطع تسبب فى إرهاقه .

- لك مطلق الحرية فى أن تسكت ومع ذلك فاننى انصحك..

- فى أى مكان أظهرت لك تحرياتك أننى كنت فيه ؟.

لم يجب ميجريه . والحق أنه دهش أمام هذا التحول المفاجيء الذى لم يكن ينتظره ، فضلا عن أنه تعذر عليه أن يقرأ فى ملامح الشاب ما يعتمل فى نفسه .

ولزم هنرى الصمت بضع لحظات . وارتفع صوت الخادم من تحت وهى ترد على نداء من الدور الأول :

- أنا قادمة يا سيدتى .

- حسنـــا ...

- إننى كنت هناك ما دمت تعرف .

- فى سانسر .

ولم يبد هنرى أى حركة .

- وقد تشاجرت مع أبيك فى الطريق المؤدى إلى القصر القديم ..

كان ميجريه أكثر الاثنين انفعالا لأنه كان يحس أن ضرباته تهوى فى الفضاء وأن صوته لا رنين له وأن شكوكه لا صدى لها . والشيء الوحيد الذى كان يثير حيرته أكثر من أى شيء آخر هو صمت هنرى جاليه الذى وقف ينتظر من غير أن يحاول توضيح موقفه .

- هل يمكن أن تقول لى ماذا كنت تفعل فى سانسر ؟

- كنت ذاهبا لأرى صديقتى اليونور يورسانج التى تقضى

أجازتها في بنسيون جرمان على طريق سانسر بسان تيبو .

ورفع حاجبيه في حركة غير أرادية .. وكانا كثيفين كثافة حاجبي أميل جاليه .

- أما كنت تعلم بوجود أبيك في سانسر ؟ .

- لو أنني علمت بوجوده لتحاشيت مقابلته .

دائما ردود مقتضبه لا يسع القوميسير ازاءها الا أن يعيد سؤاله .

- وهل كان أهلك على علم بهذه العلاقة ؟ .

- كان أبي يشتبه فيها ويعارضها .

- ولماذا تشاجرتما ؟

فأجاب الشاب في بطء :

- هل تتحرى عن القاتل أو عن القتيل ؟.

- سوف أعرف القاتل اذا عرفت القتيل جيدا . هل وجه أبوك اليك لوما ؟.

- عفوا ... لقد عتبت عليه تجسسه على .

- وبعد؟ .

- لاشيء .. دعاني بابن عاق .. واشكرك اذ ذكرتني بذلك .

وسمع ميجريه في شيء من الارتياح صوت خطوات على

السلم ولم تلبث أن ظهرت مدام جاليه بجلالها وترفعها العاديين
وعنقها مثقل بعقد ذى ثلاثة فروع من الأحجار القاتمة اللو
وسألت وهى تنقل البصر بين ميجريه وابنها هنرى :

- ما الخبر ؟ ... لماذا لم تدعونى يا هنرى ؟ .

ودخلت الخادم بعد أن طرقت الباب وقالت :

- لقد أتى الفراشون لنقل الستائر .

- راقبيهم اذن .

وقال ميجريه فى لهجة حادة بعض الشىء :

- لقد اتيت سعيا وراء معلومات اعتقد أنها ضرور
لكشف النقاب عن الجانى . إن الوقت غير مناسب بلا شك ك
قال لى ابنك . ولكن كل ساعة تمر تجعل القبض على القا
أشد صعوبة وتعقيداً .

ونظر إلى هنرى ولكن هذا الأخير كان أسرع منه فنظر إل
ناحية أخرى .

وتحول ميجريه إلى الأم فسألها قائلاً :

- هل كانت لك ثروة خاصة عندما تزوجت أميل جاليه
سيدتى ؟ .

وشدت المرأة قامتها فى ترفع وأجابت فى كبرياء :

- اننى ابنة أوجست بريجان .

- التمس معذرتك ... ولكنني ...

- أن أبى هو السكرتير السابق لآخر أمير من أمراء آل بوربون، وقد كان مديرا للجريدة الرسمية للحزب الملكي ، وقد انفق ثروته عن آخرها فى سبيل الجريدة التى تنطق بلسان الملكيين.

- هل مازال لك أهل ؟ .

- لا ريب فى ذلك . ولكنى لم أر أحدا منهم منذ زواجى .

- أما كانوا يحبذون هذا الزواج ؟ .

- ما ذكرته لك الآن كان ينبغى أن يساعدك على الإدراك . كل افراد أسرتى ملكيون . وكل أعمامى وأخوالى يشغلون مراكز مرموقة . وقد حقدوا على لأننى تزوجت وكيلا تجاريا .

- ألم يترك لك أبوك ثروة عند مماته ؟ .

- لقد مات أبى بعد زواجى عام ... وكان زوجى يملك عند اقترانى به ثلاثين الف فرنك .

- وعائلته ؟ .

- لم أعرفها. كان يتحاشى الحديث عنها. كل ما أعرفه هو أنه قضى طفولة بائسة وأنه مكث بضع سنوات فى الهند الصينية .

ورأى ميجريه على شفتى الابن شبح ابتسامة كلها ازدراء .

- إذا كنت ألقى عليك هذه الأسئلة يا سيدتى فذلك لأننى علمت أولاً أن زوجك ترك العمل بشركة نبيل منذ ثمانية عشر عاما .

حدقت المرأة فى القوميسير ثم فى أبنها وقالت محتجة فى حدة :

– سيدى ...

– أننى عرفت ذلك من مسيو نيبيل نفسه .

وقال الشاب وهو يتقدم نحو ميجريه :

– أظن الأوفق يا سيدى ...

– كلا يا هنرى ... أريد أن أثبت للقوميسيرأن هذا كذب إنها فرية فظيعة .. تفضل أيها القوميسير .. نعم ... نعم ... اتبعنى .

وسارت نحو الممر وقد تملكها الانفعال أول مرة واصطدمت فى طريقها بكومة من السجاد الأسود كان الفراشون يقومون بطيها وتقدمت القوميسير إلى الدور الأول وإجتازا غرفة نوم مصنوعة من خشب الجوز الململع حيث رأى ميجريه مشجبا علقت عليه قبعة من القش لاميل جاليه وحلة من الكتان كان لاشك يستعملهما فى الصيد .

وبعد غرفة النوم كانت هناك غرفة أخرى أعدت لتكون مكتبا . وقالت مدام جاليه :

– أنظر ... هذه هى «العينات» ... وهذه الأدوات المعدنية مصنوعة طبقا للطراز البشع السائد هذه الأيام .. ولا يرجع

تاريخها إلى ثمانية عشر عاما ، أليس كذلك ؟ .. وهذا هو دفتر الطلبات ويقوم زوجي بقيده أولا بأول حسب تواريخ الطلبات التي يحصل عليها .. وإليك أخيراً خطابات من شركة نييل كانت تأتيه بانتظام .

لم يلق ميجريه على كل ذلك غير نظرة عابرة ... كان مقتنعا بأنه لابد له من العودة إلى هذه الغرفة مرة ثانية وأن يعيش في الجو الذي عاش فيه القتيل .

وفي هذه الغرفة أيضاً حاول أن يتصور أميل جاليه في المقعد الدوار القائم أمام المكتب . وعلى المكتب نفسه كانت هناك محبرة من المعدن وكرة من البللور تستعمل « تقالة » للورق .

ومن النافذة أبصرّ الممر الرئيسي للتقسيم وسطحا أحمر «لفيللا» لا يسكنها أحد . وخطابات شركة نييل كانت مكتوبة على الآلة الكاتبة طبقا لصيغة معروفة :

سيدى العزيز ...

تسلمنا خطابك المؤرخ ١٥ الجارى . مرفقا به كشف الطلبات لشهر يناير . ونحن في إنتظارك آخر الشهر لتصفية حساباتنا كما هي العادة ، وسوف نزودك ببضعة ارشادات بخصوص توسيع دائرة نشاطك .

مع تحيات ....

جان نبيل (إمضاء)

وأخذ ميجريه هذه الخطابات ودسها فى حافظته ..

وسألته مدام جاليه فى شىء من التحدى :

- ما رأيك الآن ؟ .

- وما هذه ؟ .

- هذه أشياء لا أهمية لها .. كان زوجى يقضى وقته فى إنجاز بعض الأعمال اليدوية .. وأنت ترى هناك ساعة مفكوكة .. وهناك فى المخزن أشياء كثيرة صنعها هو نفسه وبينها أدوات للصيد . كان لديه كل شهر ثمانية أيام يقضيها فى البيت، وتحرير مراسلاته وطلباته لا تشغل من وقته غير ساعة أو ساعتين فى الصباح .

فتح ميجريه الأدراج مصادفة . ورأى فى احدها ملفا ضخما وردى اللون عليه هذه الكلمة :

« الشمس »

وقالت مدام جاليه :

- هذه أوراق أبى ، لا أدرى لماذا احتفظنا بها . وتوجد فى هذا « الدولاب » مجموعة كاملة من الجريدة من أول عدد صدر حتى آخر عدد منها ، وهى الجريدة التى أنفق أبى كل

أموالة فى سبيلها .

- هل تسمحين أن آخذ الملف معى ؟ .

تحولت مدام جاليه نحو الباب كما لو كانت تريد أن تستطلع رأى أبنها ولكن هنرى لم يكن قد تبعهما .. فقالت :

- ما الذى يمكن أن تستخلصه منه ؟ .. هذا الملف نوع من المخلفات . ولكن إذا كنت تعتقد .. قل لى .. لا يمكن أن يؤكد مسيو نيبيل طبعا .. مثل هذه البطاقات .. قد جاءتنى بطاقة أمس وهى مرسلة من روين كفيرها .. اقرأ .. « كل شىء على ما يرام . سأصل يوم الخميس » .

وغلبها الانفعال مرة أخرى ولكن سرعان ما تغلبت عليه وقالت :

- اننى لأكاد أنتظره .. فغدا يوم الخميس .

وفجأة أجهشت بالبكاء ، ولكن فى إيجاز عجيب . شهقتان أو ثلاث ثم رفعت المنديل المجلل بالسواد إلى فمها وقالت فى صوت أجش :

- هلم بنا من هذه الغرفة .

وكان لابد لهما من العودة عن طريق غرفة النوم . وكانت من طراز عادى ولكن من نوع جيد وتضم « دولابا » ذا مرآتين « وطاولتين » وسجادة إيرانية رخيصة .

وفى ممشى الدور الأرضى كان هنرى واقفا يراقب الفراشين الذين ينقلون الستائر والسجاجيد إلى عربة النقل . ولم ينظر اليهما بل لم يحول عينيه حتى إليهما وهما يهبطان السلم الملمع الذى « قرقعت » درجاته .

وكان يسود البيت جو من الفوضى وعدم النظام . وأقبلت الخادم وفى يدها لتر من النبيذ الأحمر ويضع كئوس ودخلت الصالون حيث كان رجلان يقومان بنقل المعزف وارتفع صوتها قائلة فى غير اكتراث :

- انه لن يؤذى احدا .

وأحس ميجريه باحساس لم يحس به من قبل وتملكته حيرة من أمره .. خيل إليه أن الحقيقة كلها متناثرة حوله فى ذلك البيت ولكن كان لابد له أن يرى حقائق هذه القضية بطريقة أخرى غير تلك الطريقة التى تبدو له من خلال ضباب مشوش مغير للأوضاع . وكان ذلك الضباب يلح عليه بصورة غريبة تفرضها عليه تلك المرأة المترفعة التى تغالب انفعالها وهنرى الذى بدا وجهه الطويل غير المتناسق مستغلقا لا ينم عما يجيش فى صدره وتلك الستائر والسجاجيد التى تنقل من البيت وأخيراً ارتباك ميجريه نفسه الذى كان يشعر بأن وجوده فى غير المكان المناسب .

- التمس معذرتك... ولكنني ...

- وتملكه الخجل لهذا الملف الذى أخذه كما لو كان لصا مع أنه لم يكن يدرى كيف يمكن أن يفيده .. وود لو أن يبقى مدة أطول فى غرفة المكتب وحده .. غرفة مكتب القتيل وأن يتمشى فى المخزن حيث كان أميل جاليه يعكف على صنع أدوات الصيد المتقنة .

وسادت لحظة تردد . كان الجميع فى المشى فى الوقت نفسه وكانت ساعة الغداء قد حانت . وكان واضحا أن آل جاليه ينتظرون انصراف القوميسير .

وامتلأت خياشيمه برائحة بصل محمر .. كانت الخادمة هى الوحيدة التى بقيت محتفظة بجأشها .

كان الملاذ الوحيد لكل من الموجودين هو النظر إلى الفراشين وهم يعيدون النظام إلى « الصالون » . وعثر أحدهم على صورة جاليه تحت « صينية » المشروبات . والتقطها ميجريه وهو يخاطب الأرملة قائلاً :

- هل تسمحين لى بأخذها ؟ .. قد احتاج إليها .

وشعر بأن هنرى يتابعه بعينيه فى أزدراء متزايد .

وقالت مدام جاليه :

- إذا لم يكن هناك بد من ذلك ، فليس لدى صور

كثيرة مثلها .

- أعدك أن أردها لك .

ولم يبد عليه ما يدل على أنه يعتزم الانصراف . وكان العمال ينقلون فى هذه اللحظة وعاء كبيرا خزفيا زائفاً وتدخلت مدام جاليه تقول فى وجل :

- حذار .. وإلا اصطدمتم بالباب .

دائماً الخليط نفسه من الحزن والسخرية والأسى والضعة الذى يثقل على كتفى ميجريه فى ذلك البيت المقفر حيث يخيل له أنه يرى شبحا يحوم ، هو شبح أميل جاليه « بسترته » غير المحكمة وبعينيه المتورمتين من تأثير مرض الكبد .. أميل جاليه الذى لم يره وهو على قيد الحياة .

وكان قد دس الصورة فى الملف الوردى وقال فى تردد :

- التمس معذرتك يا سيدتى .. إننى منصرف ، ويسعدنى أن يرافقنى ابنك جزءا من الطريق .

نظرت مدام جاليه إلى هنرى فى شىء من القلق لم تستطع إخفاءه. كانت تحس هى الأخرى على الرغم من ترفعها وتعاليها وحركاتها المتزنة وعقدها ذى الفروع الثلاثة أن هناك شيئاً خافيا عليها. ولكن الشاب تناول فى غير اكتراث قبعته المجللة بالسواد من فوق المشجب .

وكان الانصراف على هذه الصورة أشبه شيء بالفرار .. كان الملف ثقيلاً .. ولم يكن أكثر من قطعتين من الورق المقوى تكاد الأوراق التى بينهما تفلت فى أى لحظة .

وسألته مدام جاليه :

- هل أحضر لك جريدة تلفه فيها ؟ .

ولكن ميجريه كان قد خرج . وتقدمت الخادم إلى غرفة الطعام وفى يديها مفرش وسكاكين . وسار هنرى صامتا لا تدل نظراته على شىء .

وعندما صار الرجلان على بعد نحو ثلثمائة متر من البيت ، وبينما كان الفراشون يأخذون أماكنهم بعربة النقل قال القوميسير :

- لا أريد منك غير استعلامين فقط ... عنوان اليونور بورسانج فى باريس وعنوانك أنت .. وكذلك عنوان المصرف الذى تعمل به .

وأخذ قلما وكتب على غلاف الملف الوردى الذى بين يديه :

اليونور بورسانج ٢٧ شارع تورين ... مصرف سوفرينوس رقم ١٧ شارع بومارشيه ... هنرى جاليه فندق بلفى رقم ١٩ شارع لاروكيت .

وسأله الشاب :

- أهذا كل شيء ؟ .

- نعم وشكراً .

- أرجو أن تهتم إذن بالقاتل .

ولم يحاول أن يرى الأثر الذى أحدثته كلماته هذه بل لمس حافة قبعته وعاد أدراجه إلى « الفيللا » .

وتجاوزت سيارة النقل ميجريه قبل أن يصل المحطة بقليل .

* * *

وجاءه العنصر الأخير فى هذه القضية عفوا ، فقد بلغ المحطة قبل قدوم القطار بساعة . وألفى نفسه وحيدا فى غرفة الانتظار المقفرة والتى يلوذ بها جيش من الذباب .

ورأى ساعى البريد يأتى فوق دراجة . وكان متقدما فى السن يبدو من سحنته أنه يعانى من داء القلب . وتوقف وتخلص من حقيبته فوضعها فوق « طاولة » تستعمل لحمل الأمتعة . وتقدم القوميسير منه وسأله :

- هل أنت الذى توزع خطابات « الفيللا » مارجريت ؟ .

ولم يكن الرجل قد رآه فنظر إليه مرة أخرى وقال :

- ماذا تعنى ؟ .

- بوليس ... أريد استقاء بعض المعلومات منك ... هل تأتى رسائل كثيرة لمسيو جاليه ؟ .

– كثيرة ؟ .. لا ... لم يكن يأتيه أكثر من بضع رسائل من الشركة التى كان يعمل بها . وكانت تأتيه فى أوقات معينة .. ثم بعض الجرائد .

– أى جرائد ؟

– جرائد عن الريف.. وخاصة من برى من شير.. ثم/مجلات «الحياة فى الريف» و «الصيد والقنص» و «حياة القصور» .

ولحظ القوميسير أن الساعى يتحاشى نظراته فقال :

– هل هناك شباك لحفظ البريد فى سان فارجو ؟ .

– ماذا تقصد ؟ .

– هل كانت تأتى مسيو جاليه رسائل أخرى ؟ .

وبدا الإرتباك على الساعى فجأة وتمتم :

– ما دمت تعرف وما دام قد مات .. ثم اننى لم أخالف التعليمات ... لقد طلب منى ألا أضع فى صندوق « الفيللا » خطابات معينة وأن أحتفظ بها لحين عودته إذا كان مسافرا .

– أى خطابات ؟ .

– أوه... ليست كثيرة .. خطاب أو إثنان أو ثلاثة كل شهر، خطابات زرقاء عادية .. والعنوان مكتوب على الآلة الكاتبة.

– هل كانت تحمل عنوان المرسل ؟ ..

– لا .. لم تكن تحمل على ظهرها أكثر من ثلاث كلمات مكتوبة على الآلة الكاتبة هى الأخرى وهى المرسل : مسيو

يعقوب ... هل اسأت بعملى هذا ؟ .

- ومن أين تأتى ؟ .

- من باريس .

- من أى دائرة ؟ .

- كان ذلك يتغير فى كل مرة .

- ومتى جاءت آخر رسالة ؟ .

- صبرا .. نحن الآن فى التاسع والعشرين من يونية ، إليس كذلك ؟ .. يوم الأربعاء .. كان ذلك مساء يوم الخميس الماضى ، ولكننى لم أر مسيو جاليه إلا صباح يوم الجمعة عندما كان ذاهبا للصيد .

- وهل ذهب إلى الصيد ؟ .

- لا . بل عاد إلى بيته بعد أن نقدنى خمسة فرنكات كما هى عادته .. وقد حزنت كثيرا عندما علمت أنه قتل .. هل تظن أن الرسالة ..

- هل غادر سان فارجو فى اليوم نفسه ؟ .

- نعم .. حذار .. هل تنتظر قطار ليون ؟ .. ها هوذا قادم هل لابد من ذكر كل ذلك ؟ .

ولم يجبه ميجريه . فهو لم يجد متسعا من الوقت إلا ليجرى ويثب فى عربة الدرجة الأولى الوحيدة الملحقة بالقطار .

(٤)

النصاب

عندما وصل ميجريه للمرة الثانية إلى فندق لالوار أجاب في فتور على تحية مسيو تارديفون الذى أسرع للقياه بعبارات الود والترحيب ثم تقدمه إلى غرفته وهو يريه مظاريف كبيرة صفراء جاءت إلى الفندق باسم القوميسير .

كان بينها تقرير الطبيب الشرعى ومحضر بوليس نيفر ، كما أرسل بوليس روين المعلومات الضافية عن الصرافة ايرما ستروس .

وقال صاحب الفندق :

– وليس هذا كل ما هناك فقد جاء الجاويش المختص بقسم نيفر لرؤيتك وهو يرجوك أن تتصل به بمجرد حضورك . وهناك أخيراً امرأة جاءت لتراك ثلاث مرات وأظنها أقبلت ردا على نداء المنادي .

– أي أمرأة ؟

- هى الأم كانو ، زوجة البستانى الذى يعمل عند سان هيلير صاحب القصر الذى حدثتك عنه ... هل تذكر ؟ .

- ألم تقل لك شيئاً ؟

- إنها ليست من الغباء إلى هذا الحد .. فهى لن تنطق بحرف واحد مما تعرف مادامت هناك مكافأة .. هذا إذا كانت تعرف شيئاً حقاً .

وكان ميجريه قد ألقى الملف الوردى وصورة اميل جاليه على المنضدة فرد عليه قائلاً :

- ابعث فى طلب هذه المرأة ، وأطلب لى الجاويش .

وبعد قليل كان يتحدث مع الجاويش الذى أخبره أنه بمجرد صدور التعليمات إليه ألقى القبض على جميع المتشردين والمشبوهين فى الدائرة التى وقعت فيها الجريمة وأنهم موجودون تحت تصرفه .

- هل بينهم أشخاص ذوو أهمية ؟ .

فاكتفى الجاويش بأن أجاب :

- هم كلهم متشردون .

وبقى ميجريه أمام هذه الأوراق وحده حوالى أربع دقائق ..

وكان ينتظر أوراقاً أخرى غيرها فقد أبرق إلى باريس ليرسلوا إليه معلوماتهم عن هنرى جاليه وصديقته ، ثم إنه كان قد أخطر أورليان ليتحروا عن رجل بالمدينة يعرف باسم مسيو كليمان .

ولم يكن قد وجد متسعا من الوقت ليفحص غرفة الجريمة أو ثياب القتيل التى أرسلت بعد الفراغ من تشريح الجثة إلى الغرفة التى كان يشغلها .

كانت القضية فى البداية تبدو كما لو كانت قضية عادية أبسط من البساطة .. رجل من أهالى المدن قتله مجهول فى غرفته بالفندق .. ولكن كلما جاءت معلومات جديدة ازدادت القضية تعقيدا بدلا من تبسيطها .

وصاح صوت فى الفناء يقول :

– هل ينبغى ادخالها غرفتك أيها القوميسير ؟ .. أعنى الأم كانو ؟ .

ودخلت امرأة ضخمة الجسم تبدو القوة والهيبة على محياها ولم يكن هناك شك فى أنها اغتسلت واعتنت بهندامها ومظهرها لهذه المناسبة . ونظرت إلى ميجريه على الفور نظرة الريفية المتشككة .

– هل لديك ما تقولينه لى ؟ . بشأن مسيو كليمان ؟ .

- بشأن الرجل الذى قتل والذى ظهرت صورته فى الجريدة. هل صحيح أنك تمنح خمسين فرنكا ؟ .

- نعم .. إذا كنت قد رأيته يوم السبت ٢٥ من يونيه .

- وإذا كنت قد رأيته مرتين ؟ .

- إذا صح هذا فقد أمنحك مائة فرنك .. تكلمى .

- ينبغى أولا أن تعدنى ألا تذكر لزوجى ما سوف أقول لك، وليس ذلك خشية من أن يفقد عمله عند مسيو تيبورس ولكن لأنى أخشى أن يأخذ منى مائة الفرنك فينفقها فى الشراب ، وإن كنت أوثر على كل حال ألا يعلم مسيو تيبورس أننى تكلمت .. لأننى رأيت الذى قتل معه .. المرة الأولى فى الصباح .. فى نحو الساعة الحادية عشرة .. وكانا يسيران جنبا إلى جنب فى حديقة القصر .

- هل أنت واثقة أنك رأيته ؟ .

- كما أراك أنت الآن .. فليس هناك فى البلد كلها من يشبه القتيل .. وقد تبادلا الحديث قرابة الساعة .. ورأيته مرة أخرى بعد ظهر اليوم نفسه من نافذة « الصالون » .. وكان يبدو أنهما يتشاجران .

- كم كانت الساعة عندئذ ؟ .

- كانت قد دقت الخامسة .. وأنت ترى أننى رأيته مرتين

ولم تغادر عيناها ميجريه وهو يخرج ورقة من فئة مائة الفرنك من محفظته . وتنهدت كما لو كانت تأسف أنها لم تر مسيو كليمان مرة ثالثة فى ذلك اليوم .

وقالت فى تردد :

- أظن أننى رأيته مرة ثالثة .. ولكن لا ريب أن هذه المرة لا تدخل فى الحساب .. فقد رأيت مسيو تيبورس يشيعه بعد دقائق حتى الباب العمومى و ...

وقاطعها ميجريه فى صوت قاطع وهو يدفعها نحو الباب :

- هذه المرة لا تدخل فعلا فى الحساب .

وأشعل غليونه وألقى قبعته فوق رأسه . وفى المقهى وقف أمام مسيو تارديفون وسأله :

- هل يقطن مسيو دى سان هيلير فى القصر الصغير منذ مدة طويلة ؟ .

- منذ عشرين سنة .

- أى نوع من الرجال هو ؟ .

- هو رجل محبوب قصير القامة بدين الجسم . مرح ، يحب البساطة لا يأتى إلى الفندق صيفا إذ يكون مكتظا بالنزلاء ، وهو على أى حال من وسط آخر غير وسطهم .. ولكن فى موسم الصيد والقنص تراه عندى دائماً .

- هل له أهل ؟ .

- إنه أرمل .. ونحن ندعوه دائماً باسم تيبورس لأنه اسم غير شائع ... كل الكروم التى تمتد تحت سفح الربوة ملكه ويهتم بها هو نفسه ويذهب من وقت لأخر إلى باريس للهو والتسلية ثم يعود فيشمر عن ساعديه ويعمل بجد ونشاط .. ترى ما الذى قالته لك الأم كانو ؟ .

- هل تظن أنه فى بيته الآن ؟ .

- أعتقد ذلك . فلم أر سيارته تغادر القصر اليوم .

سار ميجريه إلى الباب الحديدى وطرقه وهو يلحظ أن نهر اللوار يمتد حتى آخر الفندق ثم ينحنى مغيرا مجراه . ولما كان القصر هوآخر مبانى البلد فقد كان فى مقدور كل امرىء دخوله ومغادرته فى أى وقت من غير أن يراه أحد .

وكان السور يمتد فيما بعد الباب المسدود بنحو ثلثمائة أو أربعمائة متر ثم لا شيء بعد ذلك غير الغابة .

وفتح الباب رجل كث الشاربين يرتدى ثياب البستانيين . وكانت رائحة الخمر تنبعث من فمه وأدرك القوميسير على الفور أنه أمام زوج الأم كانو .

- هل سيدك هنا ؟ .

وفى اللحظة نفسها أبصر ميجريه رجلا مشمرا عن ساعديه

يفحص رشاشة كهربية وأدرك من نظرة البستانى أنه أمام تيبورس دى سان هيلير نفسه . وترك هذا الأخير الرشاشة وتحول إلى زائره وانتظر .

وإذ رأى امارات التردد تظهر على وجه كانو التقط «سترته» من فوق العشب واقترب قائلاً :

– هل تريد أن ترانى ؟ .

– القوميسير ميجريه ، من البوليس القضائى .. هل تتكرم فتمنحنى بضع دقائق من وقتك ؟ .

فقال صاحب القصر متذمرا وهو يشير بذقنه إلى فندق لالوار :

– دائما هذه الجريمة .. ما الذى أستطيع أن أؤديه لك ؟ .

تفضل من هنا .. إننى لن أدعوك للدخول إلى « الصالون » فقد كانت الشمس حامية طول النهار والجو فيه مازال ساخنا ... سوف نكون أفضل فى هذه « التعريشة » .. بابتست .. احضر كأسين وزجاجة من النبيذ ذى الرغوة ، من الرف الأخير .

كان كما وصفه صاحب الفندق تماما .. قصير القامة ، بدينا مكتنز الجسم ، أحمر اللون قصير اليدين يدل مظهرهما على أنه يقضى جل وقته فى العمل ويرتدى حلة من اللون الكاكى من ذلك النوع الشائع الاستعمال فى الصيد والقنص .

وسأله ميجريه وهو يجلس فوق أحد المقاعد الحديدية :

– هل تعرف مسيو كليمان ؟ ..

– ليس هذا اسمه الحقيقى كما تقول الجريدة .. إن أسمه .. أظنه جريليه .. جيليه ..

– جاليه .. نعم .. ولكن ليس هذا بيت القصيد .. أكانت تربطك به علاقة عمل ؟ .

وخيل لميجريه أن صاحبه لم يكن فى حالته الطبيعية فى ذلك الوقت وأنه كان يعاني ضيقا وارتباكا غير ظاهرين . ومهما يكن فان دى سان هيلير انحنى فى تلك اللحظة خارج «التعريشة» وصاح :

– ان هذا المغفل بابتست لقمين بأن يحضر لنا نبيذا ممزوجا بالماء وأظنك تؤثر أن تتناوله من غير ماء . إنه نبيذ معتق من أجود الأنواع مصنوع على طريقة الشمبانيا .. بخصوص هذا المسيو كليمان .. وأرى أن من الأفضل إن أدعوه بهذا الاسم .. ماذا أقول لك .. لو قلت أنني كنت مرتبطا معه بعلاقة عمل أكون مبالغا ... ولو قلت أنني لم أره قط فليس هذا صحيحا كذلك .

وبينما كان يتكلم استعرض ميجريه فى ذهنه استجوابا آخر .. استجواب هنرى جاليه.. كان لكل من الرجلين موقف مختلف

عن الآخر فابن القتيل لم يحاول أن يبدو رقيقا ولم يظهر أى اهتمام بغرابة موقفه ... كان ينتظر الأسئلة فى شىء من الشك ويرد بعد وقت طويل منتقيا كلماته .

أما تيبورس فكان يتكلم بطلاقة ويبتسم ويشير بيديه ويسير جيئة وذهابا ويبدو حسن الأخلاق بقدر ما يستطيع .

ولكن كان يلازم كلا الرجلين الشعور بالقلق المستتر وربما الخوف من أنه قد لا يتمكن من إخفاء شىء معين .

- أنت تعلم .. أننا نحن أصحاب القصور نستقبل كل من هب ودب ، ولست أقصد فقط المتشردين والسماسرة والباعة الجائلين ولكن .. على كل حال لنعد إلى مسيو كليمان .. ها هو ذا النبيذ .. هذا حسن يا بابتست ، يمكنك أن تنصرف .. سأحضر بعد قليل لأفحص الرشاشة .. ولكن حذار أن تقربها .

وبينما كان يتكلم فتح الزجاجة فى تؤدة وملأ الكأسين بدون أن تسقط نقطة واحدة من الرغوة .

« وجملة القول أنه جاءنى منذ وقت طويل .. ولاريب أنك تعلم أن آل سان هيلير من أقدم العائلات وأننى الآن آخر هذه السلالة . على أن هذا يرجع إلى معجزة عجيبة ولعلنى كنت مازلت حتى الآن كاتبا فى إحدى الشركات بباريس أو بلد آخر لو لم أرث فجأة ابن خال لى اكتسب ثروة كبيرة فى اسيا ..

أردت أن أقول لك أن اسمى يظهر فى دلائل النبلاء .. وقد جذب أبى النظر إليه منذ أربعين سنة. أما أنا فأنت تعرف ...

وابتسم ورشف نبيذه ذا الرغوة رشفة متلذذا بطريقة ديموقراطية وهو يلعق سقف حلقه بلسانه وانتظر حتى أفرغ ميجريه كأسه فملأه له مرة أخرى واستطرد :

- أما صاحبنا مسيو كليمان فلم أكن أعرفه حتى جاءنى ذات مرة وأطلعنى على خطابات توصية صادرة من امراء فرنسيين وأجانب ثم ذكر لى أنه الممثل الرسمى للحركة الملكية فى فرنسا .. وتركته يتكلم إلى أن طلب منى ألفى فرنك لخزينة الدعاية . ولما رفضت راح يتحدث عن أسرة فقيرة وعن تبرعات يجمعها لها .. ومن ألفى فرنك هبط إلى مائة .. وانتهى بى الأمر إلى أن أعطيته خمسين فرنكا .

- متى كان ذلك ؟ .

- منذ بضعة شهور . ولا أستطيع التحديد بالدقة .. كان ذلك فى موسم الصيد ، وكنا نجتمع كل يوم فى قصر من القصور المجاورة ، وقد سمعتهم يتحدثون عن الرجل فى كل مكان تقريباً وأدركت أنه متخصص فى هذا النوع من النصب والاحتيال ولكننى لم أشأ أن أقدم شكوى ضده من أجل خمسين فرنكا . نخب صحتك .. وفى اليوم الماضى جرؤ وجاءنى للمرة

الثانية .. هذا هو كل ما هنالك .

- فى أى يوم ؟.

- اوه .. فى آخر الاسبوع .

- يوم السبت .. نعم .. وقد جاءك مرتين إذا لم أكن مخطئاً .

- أنت بطل حقا أيها القوميسير .. صحيح إنه جاءنى مرتين مرة فى الصباح وقد رفضت استقباله .. وصادفنى مرة أخرى بعد الظهر فى حديقة القصر .

- هل كان يريد مالا ؟

- طبعا .. ولا أدرى لماذا .. ولكن لأسباب ملكية بلا شك .. هيا ، افرغ كأسك فلا داعى لأن تترك بعض الشراب فى الزجاجة .. ولكن قل لى .. ألا تظن أنه انتحر .. اننى أعتقد أن السبل قد ضاقت به وأن جعبته قد فرغت .

- ان الرصاصة أطلقت على بعد سبعة أمتار ولم يعثر أحد على المسدس .

- فى هذه الحالة طبعا .. ما رأيك ؟ .. لعل أحد المتشردين مر و ...

- من الصعب التسليم بذلك ، فان الممر الذى تطل عليه نوافذ الغرفة التى ارتكبت فيها الجريمة لا يؤدى إلا إلى قصرك.

فاحتج المسيو دى سان هيلير قائلاً :

- بل إلى باب مسدود . فمنذ سنوات لم يفتح باب طريق العشب ولا أستطيع أن أقول لك أين يوجد مفتاحه .. هل لك فى زجاجة أخرى ؟ .

- لا .. شكراً .. أظن أنك لم تسمع شيئاً .

- أسمع ماذا ؟ ..

- الرصاصة ؟ . يوم السبت ليلا ؟ .

- لا .. فأنا أذهب إلى فراشى فى وقت مبكر .. ولم أسمع بالجريمة إلا من خادمى فى اليوم التالى .

- ألم يخطر لك أن تطلع رجال البوليس على زيارة مسيو كليمان لك .

- لعمرى ...

وحاول أن يضحك ليخفى ارتباكه ، وأردف :

- قلت لنفسى أن المسكين قد وجد جزاءه بما فيه الكفاية .. فعندما يحمل المرء اسما كاسمى لا يسره كثيراً أن يراه فى الجرائد فى مكان آخر غير مكان أنباء المجتمعات .

كان يلازم ميجريه هذا الشعور المبهم البغيض الملح ، والاحساس بأن كل شىء حول موت اميل جاليه كاذب ابتداء من الميت نفسه حتى صوت ابنه وضحكة تيبورس دى سان هيلير

- هل نزلت عند ذلك الشهم تارديفون ؟ .. اتعرف أنه طباخ ممتاز وأنه كان يعمل في القصور الكبرى .. لقد شق طريقه ووصل ... ألا تريد حقا كأسا أخرى .. إن هذا البستاني الغبي أفسد الرشاشة الكهربية وعندما أقبلت كنت أحاول اصلاحها .. ينبغي أن يعمل المرء بنفسه كل شيء في الريف ... إذا كنت ستقضي هنا أياما أخرى ايها القوميسير فتعال من وقت لآخر ليلا لنتجاذب أطراف الحديث .. فالحياة أصبحت لا تطاق، في الفندق مع كل هؤلاء السياح .

وشيعه حتى الباب الحديدي وتناول يدا لم تبسط إليه وشد عليها في مودة مبالغ فيها .

وبينما كان ميجريه يقطع الطريق بمحاذاة النهر تبادر إلى ذهنه خاطران أولهما أن تيبورس دي سان هيلير قد ضرب عرض الحائط بنداء المنادي وبالأهمية التي يعلقها رجال البوليس على تحركات مسيو كليمان يوم السبت الماضي وأنه انتظر حتى ذهب ميجريه إليه لاستجوابه . زد على ذلك أنه لم يذكر شيئاً من ذلك كله إلا بعد أن رأى أن محدثه على علم بزيارة مسيو كليمان له .

والخاطر الثاني هو أن تيبورس دي سان هيلير كذب كذبة على الأقل لأنه أكد له أنه رفض أن يستقبل مسيو كليمان

صباح يوم السبت وأنه التقى به فى الحديقة بعد الظهر على حين قابله فى الواقع فى الصباح فى حديقة القصر وتبادلا الحديث فى صالون « الفيللا » بعد الظهر .

واختتم القوميسير ملاحظاته محدثا نفسه :

– إذن فالباقى قد يكون كذبا هو أيضاً .

وبلغ طريق العشب حيث يقوم سور مدهون بالجير بحيط بحديقة دى سان هيلير وفى آخره يقوم هيكل مبنى لم يتم أعد ليكون ملحقا لفندق لالوار .

وكانت الأرض فى هذه الناحية قد أعشوشبت فغطتها الحشائش والأشواك وعشب الأنجرة الأبيض وراحت الدبابير ترتع فيها بين رائحة وغادية ، وقامت أشجار القرو على الجانبين فملأت بالظلال ممرا ينتهى بعد مائة متر تقريباً إلى باب حديدى قديم يرجع طرازه إلى عهد بعيد .

ودفع الفضول ميجريه إلى التقدم حتى ذلك الباب الذى لم يفتح منذ سنوات طويلة استنادا إلى أقوال صاحب القصر والذى ضاع مفتاحه . وما كاد يلقى نظرة على القفل حتى لحظ أن طبقة الصدأ التى تغطيه قد خدشت فى عدة أماكن واستعان بعدسته المكبرة وما كاد يفعل حتى أدرك أن مفتاحا قد ادخل فى القفل حديثا وأنه السبب فى احداث هذه الخدوش .

وقال يحدث نفسه :

- ينبغى أن تؤخذ صورة لهذا القفل غدا .

وعاد أدراجه مطرقا وهو يرسم فى ذهنه صورة جديدة لمسيو جاليه تبعا للمعلومات الجديدة التى جمعها عنه . ولكن سحنة الرجل بدلا من ان تتم وتظهر كاملة واضحة المعالم كانت تتهرب . وبدت وقد اختلطت ملامحها إلى حد أنها غدت بعيدة عن معالم البشر .

أما الصورة الوحيدة التى يملكها عنه فكانت تحل مكانها صور أخرى غير متباينة تأبى ألا أن تمحى الواحدة بعد الأخرى بدلا من أن تثبت وتكون شخصية واضحة المعالم .

كان القوميسير يرى نصف الوجه والصدر النحيف الكثيف الشعر على حين الطبيب فى الساحة يرقص فى صبر نافد خلف ظهره . ولكنه كان يستعرض على الفور الزورق الأزرق الذى صنعه ومدام جاليه المتعالية المترفعة فى ثوبها البنفسجى اللون فى أول الأمر ثم فى ثوب الحداد فيما بعد .

كما استعرض « الدولاب » ذا المرآتين الذى كان أميل جاليه يلبس « سترته » المعوجة أمامه .. وكل هذه الخطابات المطبوعة باسم شركة نبيل التى لا يعمل بها منذ سنوات طويلة والكشوف الشهرية التى يحرص على قيدها فى عناية طوال

ثمانية عشر عاما بعد أن ترك مهنة البيع « بالعمولة » .
ثم تلك الأواني المعدنية التي لاشك في أنه كان هو نفسه يشتريها .

وقال ميجريه يحدث نفسه وهو في طريقه :

- آه .. لم يعثر أحد على حقيبة « العينات » لا ريب أنه وضعها في مكان ما .

وكان قد توقف في حركة آلية قبل النافذة التي أطلق الرصاص من خلالها ببضعة أمتار ولكنه لم يلق اليها نظرة واحدة . كان مضطربا بعض الشيء لأنه كان يحس في لحظات معينة بأنه يكفي أن يقوم بمجهود صغير لكي يجمع في صورة واحدة كل ملامح اميل جاليه ولكنه لا يكاد يفعل حتى يرى في الوقت نفسه صورة هنري كما عرفه بملامحه غير المتناسقة وقامته المتوترة وعدم مبالاته .

وهكذا انقلبت القضية التي قال عنها المفتش جرنييه ببوليس نيفر أنها قضية صغيرة مزعجة والتي استقبلها ميجريه في شيء من الضيق فكبرت شيئاً فشيئاً على حين تحول الميت شيئاً فشيئاً حتى غدا كالبهلوان .

وأبعد ميجريه بيده مرارا دبورا راح يدور حول رأسه محدثا طنينا كطنين طيارة صغيرة وتمتم يقول في صوت خافت :

- ثمانية عشر عاما .

ثمانية عشر عاما قائمة على خطابات مزورة بتوقيع نبيل وبطاقات بريدية من روين وفى الوقت نفسه حياة عادية بسيطة بعيدة عن الترف والعظمة فى سان فارجو .

كان ميجريه على دراية تامة بعقلية الأشقياء والمجرمين والمحتالين وكان يعرف أن وراء كل عقلية هوى أيا كان نوعه .

وهذا ما كان يبحث عنه فعلا فى ذلك الوجه ذى اللحية والأجفان التى استحال لونها إلى اللون الرصاصى والفم المتجاوز الحد .

« كان يتقن صنع أدوات الصيد ويفك الساعات القديمة » .

وعندئذ هاج ميجريه وصاح :

- لا يكذب المرء ثمانية عشر عاما لهذا السبب .. ولا يلتزم بحياة مزدوجة من العسير تنظيمها بهذه الصورة .

ولم يكن هذا هو الأمر المزعج وحده .. فقد كانت هناك مواقف كاذبة يتمكن المرء من العمل على اطالتها بضعة شهور بل بضع سنوات .

ولكن ثمانية عشر عاما .. لقد كبر جاليه وشاخ وازدادت مدام جاليه سمنة ووقارا وكبر هنرى وتناول قربانه الأول وحصل على شهادة البكالوريا وبلغ مبلغ الرجال وانتقل إلى باريس

واتخذ له صديقة .

كل هذا واميل جاليه مازال يرسل لنفسه خطابات مزورة من شركة نييل ويعد لنفسه مقدما بطاقات بريدية يرسلها إلى زوجته ويحرص على نسخ كشوف كاذبة لطلبات لا وجود لها إلا فى مخيلته .

« لقد كان يتبع نظاما خاصا » .

وخيل لميجريه أنه يسمع صوت مدام جاليه . وكان غارقا فى أفكاره التى جعلت قلبه يخفق بشدة إلى درجة أنه ترك غليونه حتى انطفأ .

- ثمانية عشر عاما دون أن يفتضح أمره .

كان هذا أمرا لا يقبله العقل . بل إن القوميسير نفسه لم يقبله بسهولة مع أنه من رجال البوليس ومرت به مئات القضايا كل منها أشد غرابة من الأخرى . ولولا الجريمة لمات جاليه فى فراشه ميتة طبيعية بعد أن ينظم كل أوراقه ولدهش مسيو نييل أكبر الدهشة عندما يتسلم اخطارا بموت موظفه المزعوم .

كان هذا الأمر من الغرابة بحيث أن الصورة التى كونها القوميسير لنفسه أنبعث منها قلق لا يوصف كذلك القلق الذى تتسبب فيه بعض الظواهر التى تصدم احساسنا عن الواقع .

ومن هذه الظواهر ما ظهر أمامه مصادفة واتفاقا فى تلك اللحظة نفسها فقد رفع القوميسير رأسه فجأة ووقعت عيناه على نقطة أكثر سوادا فى السور الأبيض « للفيللا » مواجهة لغرفة الجريمة تماما .

وعندما اقترب من السور رأى أن تلك النقطة عبارة عن فراغ بين حجرين وسعه بعضهم حديثا ليتمكن من وضع طرف حذائه لارتقاء السور .

كان هذا دليلا صارخا على أن بعضهم تسلق السور من هذا الموضع مستعيناً فى ذلك ببعض الأغصان المدلاة . وفى اللحظة التى هم فيها القوميسير بوضع حذائه فى ذلك الموضع ليرتقى السور بدوره تحول مرة واحدة اذ داخله احساس بأن شخصا غير عادي عند أول الممر بجوار نهر اللوار يراقبه . واستطاع أن يميز امرأة طويلة القامة قوية الجسم شقراء اللون ذات ملامح تقرب إلى ملامح اليونانيين أسرعت بالمسير حالما رأته ينظر إليها .

وأدرك على الفور أن هذه المرأة ما هى إلا اليونور بورسانج صديقه هنرى جاليه مع أنه لم يسبق له أن رآها قبل ذلك .

وأسرع الخطا وبلغ « الرصيف » فى اللحظة التى اختفت فيها فى « ناصية الشارع الرئيسي» .

وقال لصاحب الفندق الذى حاول أن يعترض طريقه :

– فيما بعد ... فيما بعد .

وجرى بضع خطوات منتهزا فرصة أن المرأة الهاربة لا تراه وذلك حتى يقلل من المسافة التى تفصل بينهما وتأكد لديه شعوره عندئذ فهى لم تكن فقط المرأة التى تتفق سحنتها مع اسم اليونور بورسانج بل كانت صورة للمرأة التى يقع اختيار رجل مثل هنرى جاليه عليها ليتخذها صديقة له .

وإذ بلغ ميجريه بدوره «ناصية» الشارع أحس بالخيبة والقهر إذ كانت قد اختفت وعبثا راح يدور بعينيه فى أرجاء الشارع وفى محل البدال ومحل الحداد القائمين أمامه . على أن اختفاءها لم يكن غير مصيبة صغيرة إذ كان يعرف أين يجدها .

(٥)

المدبـــران ..

وفى ذلك الصباح استطاع جاويش المركز أن يرسم لنفسه فكرة مقربة عن المهمة التى تقع على عاتق رجل البوليس .

فقد صحا من نومه فى الساعة الرابعة صباحا وقطع ثلاثين كيلو متر على دراجته البخارية تحت برد الصباح الباكر أولاً ثم تحت الشمس التى أخذت تشتد حرارة ما بين لحظة وأخرى .

وبلغ أخيرا فندق لالوار لفحص السجلات الدورية للنزلاء .

كانت الساعة قد بلغت العاشرة وأكثر النزلاء يتمشون على الشاطىء أو يستحمون فى النهر . ووقف تاجران من تجار الجياد يتبادلان الحديث فى الشرفة على حين راح صاحب الفندق يصف الموائد وصناديق الأشجار .

وسأله مسيو تارديفون :

– ألا تذهب لتحيى القوميسير .

وأردف يقول فى صوت خافت وفى لهجة من يفشى سرا :

– هو الآن فى غرفة الجريمة . لقد جاءته أوراق كثيرة .. وجاءته كذلك صور من باريس .

وما هى الا دقائق قلائل حتى كان الجاويش يطرق الباب ويقول معتذراً :

– هو صاحب الفندق الذى أغرانى أيها القوميسير .. عندما قال لى انك تقوم بفحص مكان الجريمة لم أستطع أن أملك نفسى. اننى أعلم أن لكم أساليب خاصة فى باريس ويسرنى أن أتلقى درساً على يديك وأن أراك وأنت تعمل إذا كان وجودى لا يضايقك .

كان شابا طيبا ذا وجه مستدير متورد الوجنتين يعكس رغبته الشديدة فى أن يرضى وأن يخدم . وكان يحاول بقدر ما يستطيع أن يأخذ أقل مكان ممكن ولم يكن ذلك سهلا بحذائه المدبب وقبعته التى لم يعرف أين يضعها .

وكانت النافذة مفتوحة على مصراعيها وشمس الصباح تسقط أشعتها على طريق العشب بحيث بدت الغرفة فى وضح النهار شبه معتمة . ووقف ميجريه بكميه وغليونه بين أسنانه وياقة قميصه مفكوكة وربطة عنقه غير مربوطة ، ينبعث منه شعور بالراحة كان يثير دهشة الجاويش .

- اجلس هنا .. هنا .. ولكن ليس هناك شيء مهم .. كما تعرف .

- أنت شديد التواضع يا سيدى القوميسير .

كان الجاويش من السذاجة بحيث أن ميجريه لم يملك إلا أن يحول رأسه ليخفى ابتسامته . كان قد أحضر بالغرفة كل ما له علاقة بالقضية وبعد أن تأكد أن المنضدة المغطاة بمفرش هندى أحمر على هيئة مربعات لا يمكن أن تكشف له شيئاً وضع فوقها أوراقه ابتداء من تقرير الطبيب الشرعى إلى صور الأماكن والقتيل التى أرسلتها إليه إدارة الأمن العام فى الصباح نفسه .

وأخيراً وضع صورة اميل جاليه فوق الموقد الرخامى المزدان بشمعدان من النحاس ، خاضعا للاحساس الخرافى أكثر منه للعلمى . ولم تكن الأرض مفروشة ببسط بل كانت مصنوعة من خشب القرو ومدهونة بالشمع وقد رسم عليها رجال البوليس الذين قاموا بالتحقيق المبدئى بالطباشير محددين وضع الجثة كما وجدوها .

وفى الخارج ، فى طريق العشب يرتفع صخب مهوش حيوى مبعثه شدو العصافير وحفيف الأوراق وطنين الذباب وصوت الدجاج الآتى من الطريق من بعيد يتخلله فى فترات متباعدة

ضربات المطرقة على «سنديان» .

وكانت تتناهى إليهما أحيانا أصوات مختلطة من الشرفة وأحياناً صوت عربة تمر فوق الجسر المعلق .

- كل هذه أوراق ! .. ما كنت أظن أبداً ..

ولكن القوميسير كان لا يصغى إليه .. بل راح بكل رزانة واتزان، وهو يجذب أنفاسا من غليونه، يبسط فوق أرض الغرفة، فى المكان نفسه الذى كانت عليه ساقا القتيل ، «البنطلون» الجوخ الأسود الذى يدل مظهره على أن له من العمر عشر سنوات وأنه من الممكن أن يعيش عشر سنوات أخرى .

وكذلك بسط ميجريه قميصا من البركال .. ولكن المجموع لم تتخطط له صورة محدودة ومضحكة إلا بعد أن وضع زوجا من الأحذية الكاوتشوك فى نهاية الساقين .

ولكن المنظر الذى طالعه لم يشبه الجثة .. بل كان أقرب إلى صورة كاريكاتورية غير متوقعة حتى أن الجاويش لم يملك إلا أن يغمز لميجريه ويضحك فى إرتبارك .

غير أن ميجريه لم يشاركه فى الضحك وبدا عليه الاصرار والعناد فراح يمشى جيئة وذهابا فى بطء ومن غير ملل . وفحص « السترة » ولكنه بعد أن تحقق أنها لا تحمل أثراً يدل على أن الخنجر اخترقها أعادها إلى المشجب وإذ وجد الصديرى

مثقوباً عند الجيب الأيسر العلوى بسطه فوق القميص وقال فى صوت خافت :

- هكذا كان يرتدى ثيابه عندما قتل .

ونظر إلى صورة القتيل التى التقطها مصورو البوليس القضائى وصحح عمله وهو يضيف لتمثاله العديم الادراك «ياقة» من الباغة وربطة عنق من الساتان الأسود .

- أرأيت إذن أيها الجاويش ؟ .. أنه تناول عشاءه فى الساعة الثامنة من يوم السبت فأكل بعضا من الفطائر لانه كان يتبع نظاما خاصا ثم قرأ جريدته وهو يرتشف ماءه المعدنى طبقا لعادته . وبعد العاشرة بقليل عاد إلى غرفته وخلع «سترته» محتفظا بحذائه و « ياقته » .

والواقع أن ميجريه كان يحدث نفسه ولا يعنى بتوجيه حديثه بصفة خاصة إلى الجاويش الذى راح يصغى إليه باهتمام ويظن أن من واجبه أن يوافق على كلامه .

- أين يمكن أن يكون الخنجر فى تلك اللحظة ؟ إنه خنجر مزود بجهاز أمان من النوع الذى يوضع فى الجيب والذى يحمله كثير من الناس .. انتظر .

وثنى سلاح الخنجر الذى كان موضوعا فوق المنضدة مع باقى أدلة الإثبات الأخرى ودسه فى الجيب الأيسر للبنطلون الأسود .

- لا ... لم يكن فى هذا الجيب .

وعاد فوضع الخنجر فى الجيب الأيمن وأحس عندئذ بالرضا والإرتياح وقال :

- هو ذلك .. خنجره فى جيبه وهو على قيد الحياة .. ولكنه مات بين الحادية عشرة ومنتصف الواحدة طبقاً لتقرير الطبيب الشرعى . وهناك تراب جيرى على طرف حذائه ، وهناك على سور «فيللا» تيبورس دى سان هيلير أرى آثارا تركها حذاء من النوع الذى يرتديه هو .

«أتراه خلع «سترته» ليتسلق السور ؟ لأنه ليس من نوع الرجال الذين يأخذون حريتهم حتى فى بيوتهم .. ولا ينبغى أن ننسى ذلك .

وكان ميجريه يتكلم وهو لايزال يمشى جيئة وذهابا ولا يتم جملة واحدة مما يقول ولا يمنح زميله الجالس على مقعده بلا حراك نظرة واحدة .

- وفى المدفأة التى رفعوا منها الموقد بسبب الصيف آثار أوراق محترقة .. دعنا نستعيد الآن الحركات التى صدرت منه .. خلع سترته وحرق أوراقه ونثر رمادها بقاعدة هذا الشمعدان لأننى أرى «هبابا» فوق النحاس ثم تسلق السور المواجه بعد أن وثب من النافذة وعاد إلى الغرفة من الطريق نفسه وأخيراً

أخرج الخنجر من جيبه وفتحه .. ليس هذا شيئاً يذكر ولكن إذا عرفنا كيف نرتب هذه الحركات وهذه الحقائق كما وقعت .. بين الحادية عشرة ومينتصف الواحدة عاد إلى الغرفة من جديد ، وكانت النافذة مفتوحة واصابته رصاصة فى رأسه ليس هناك أى شك فى ذلك ، وكانت الرصاصة السابقة على طعنة الخنجر .. وقد أطلقت من الخارج . وبناء عليه فان جاليه أخذ خنجره ولم يحاول أن يخرج وهذا يدل على أن القاتل هو الذى دخل لأنه ليس من الممكن منازلة غريم يقف على بعد سبعة أمتار .. بل أحسن من ذلك .. لقد أطيح نصف وجه جاليه وكان جرحه يدمى ولكننا لا نجد نقطة دم واحدة بجوار النافذة .. والآثار التى خلفها وراءه تدل على أنه ، وهو جريح لم يتنقل فى دائرة قطرها أكثر من مترين . وهناك خدش شديد فى قبضة يده اليسرى . هذا هو تقرير الطبيب الذى قام بتشرح الجثة .. أخذ صاحبنا اذن الخنجر فى يده اليسرى ولكن القاتل امسك يده ولواها ليحول الخنجر إلى صدره . وغاص النصل فى قلبه فوقع مرة واحدة ، وأطلق الخنجر من يده ولكن القاتل لم يقلق واثقا من أنهم لن يعثروا على اثار بصمات ... بقيت حافظة جاليه فى جيبه .. لم يسرق منها شىء ومع ذلك فان ادارة تحقيق الشخصية بالقسم القضائى تدعى أن هناك وبخاصة ، على

الحقيبة - اثار ذرات رفيعة جدا من الكاوتشوك كما لو أن بعضهم استخدم قفازا .

وهتف الجاويش فى صوت رقيق :

- هذا غريب .. هذا غريب .

ومع ذلك فما كان فى مقدوره أن يعى ربع ما سمعه .

- وأغرب ما فى الأمر أنهم - فيما عدا آثار الكاوتشوك - وجدوا قليلا من غبار الصدأ .

- ربما كان بالمسدس صدأ .

سكت ميجريه وذهب فوقف أمام النافذة . وبدا فى الركن المضيء بقميصه الأبيض الفضفاض وكميه المنتفخين وتصاعد فوق رأسه خيط دقيق من الدخان الأزرق .

وبقى الجاويش مكانه لا يجرؤ على التحرك وعلى تغيير وضع ساقيه . وأخذ يقول فى شيء من الخجل :

- ألا تأتى لرؤية المتشردين ؟ .

- أما زالوا هناك ؟ . أخل سبيلهم .

وعاد ميجريه إلى المنضدة وهو يدعك شعر رأسه إلى الخلف وداعب الملف الوردى وغير موضع الصور ثم تحول إلى الجاويش وقال :

- هل معك دراجتك ؟ .. اذهب إلى المحطة واسأل فى أى

ساعة من يوم السبت أخذ هنرى جاليه القطار إلى باريس .. هو شاب فى الخامسة والعشرين من عمره طويل القامة نحيف الجسم شاحب اللون يرتدي حلة سوداء قاتمة ويضع نظارة «قشرة» على عينيه . وبهذه المناسبة ، ألم تسمع عن شخص اسمه المسيو يعقوب ؟ .

فأجاب الجاويش :

- نعم . لم أسمع إلا عن يعقوب الذى جاء ذكره فى الإنجيل .

كانت ثياب اميل جاليه لاتزال مبسوطة فوق الأرض كرسم كاريكاتورى للجثة . وإذ هم الجاويش بالخروج طرق الباب وارتفع صوت مسيو تارديفون وهو يقول :

- زيارة لك أيها القوميسير .. سيدة تدعى بورسانج تريد أن تتحدث إليك دقيقتين .

كان الجاويش يؤثر البقاء ولكن زميله لم يترك له أى فرصة. وبعد أن ألقى ميجريه نظرة راضية فى الغرفة قال :

- دعها تدخل .

وانحنى فوق المانيكان الكاريكاتورى وتردد ثم ابتسم وغرز الخنجر فى مكان القلب ثم كوم التبغ باصبعه فى غليونه .

* * *

كانت اليونور بورسانج قد ارتدت «فستانا محتشما» من قطعتين جعلها تبدو أكبر من سنها بخمس سنوات فبدت كما لو كانت في الخامسة والثلاثين مع أنها لم تتجاوز الثلاثين بعد .

كان جوربها مشدودا وحذاؤها سليما وشعرها الأسمر منسقا بعناية تامة يضمه مشبك من القش الأبيض ، وكانت تضع في يدها قفازاً .

وكان ميجريه قد ارتد إلى ركن مظلم يدفعه الفضول إلى أن يرى كيف ستتصرف وعندما تركها مسيو تارديفون بعتبة الباب ترددت لحظة وبدت عليها الحيرة للتباين الواضح بين النور الساطع خارج النافذة والعتمة البسيطة التى تسود الغرفة .

وقالت أخيراً وهى تتقدم خطوات وتتحول إلى الشخص الذى خمنت وجوده :

– القوميسير ميجريه ؟ .. التمس معذرتك لازعاجى اياك يا سيدى .

وتقدم منها وظهر في دائرة النور . وعندما أغلق الباب قال:

– تفضلى بالجلوس ..

وظل واقفا من غير أن يقدم لها أية مساعدة .

– لا ريب أن هنرى قد حدثك عنى .. ولما كنت فى سانسر

فقد فكرت فى زيارتك .

واستمر ميجريه محتفظا بصمته بدون أن يعمل على ازعاجها كانت تتكلم فى رزانة ووقار ذكره بمدام جاليه .

ولكن مدام جاليه أكثر شبابا وأكثر جمالاً عندما كانت فى مثل سنها بلاشك غير أنها تمت مثلها إلى الطبقة الاجتماعية نفسها .

– ينبغى أن تفهم موقفى .. بعد هذا .. هذه المأساة الفظيعة أردت أن أغادر سانسر ولكن هنرى نصحنى فى خطابه بالبقاء وقد رأيتك مرتين أو ثلاثا .. وعلمت من أهالى البلد أنه عهد إليك بالبحث عن القاتل فصممت على المجىء إليك لأسألك إذا كنت قد اهتديت إلى شىء .. أن موقفى دقيق نظرا إلى أنه لاصلة لى رسميا بهنرى ولا بعائلته .

وكان حديثها هذا يدل على أنه جاء عفو الخاطر . وكانت الكلمات تتدفق من شفتيها فى غير عجلة وبدون جهد .

ووقعت عيناها مرارا كثيرة علي الخنجر المغروز بتلك الصورة المضحكة فى الصديرى المبسوط فوق الأرض ولكنها لم تجفل .

وقال ميجريه فجأة وفى قسوة مقصودة :

– هل كلفك صديقك باستدراجى ؟

– أنه لم يكلفنى بشىء على الإطلاق .. إنه بالغ الحزن

للمصاب الذى ألم به .. وانه لمن الفظاعة أننى لا أستطيع أن أقف إلى جواره وأن أشد أزره فى أثناء الجنازة .

- هل تعرفينه منذ وقت طويل ؟.

وبدا أنها لم تلحظ أن الحديث يتحول إلى استجواب لها فقد بقى صوتها كما هو وأجابت باللهجة نفسها :

- منذ ثلاث سنوات ... اننى فى الثلاثين وهنرى فى الخامسة والعشرين فقط .. وأنا أرملة .

- هل أنت من مواليد باريس ؟ .

- بل من مواليد ليل . كان أبى رئيس الحسابات باحدى شركات النسيج .. وعندما بلغت العشرين تزوجت بمهندس من مهندسى النسيج صرعته احدى الآلات ولم تمض سنة على زواجنا .. وكان ينبغى أن أحصل على معاش من الشركة التى كان يعمل بها ولكنها ادعت أن الحادث وقع بسبب اهماله وأنها غير مسئولة عن مصرعه وعندئذ وجب على أن أكسب قوت يومى ، ولما كنت لا أريد أن اشتغل فى مدينة يعرفنى فيها الجميع فقد انتقلت إلى باريس ...والتحقت بوظيفة صرافة فى محل تجارى بشارع ريومور .

وكنت قد أقمت قضية على شركة النسيج .. وطالت الاجراءات أمام المحاكم .

ومنذ سنتين فقط حكم لصالحى وإذ غدوت فى مأمن من الفاقة والعوز تركت العمل .

- اذن فأنت كنت صرافة عندما تعرفت بهنرى جاليه ؟ .

- أجل . كان يأتى كثيرا لمقابلة صاحب المحل الذى أعمل به فى عمل خاص بمصرف سوفرينوس الذى يعمل به .

- ألم يدر بينكما الحديث عن الزواج قط ؟ .

- تحدثنا عنه فى البداية . ولكن لو أننى تزوجت قبل صدور الحكم فى القضية لكان موقفى أمام المحاكم بالنسبة للمعاش موقفا هزيلا .

- وبذلك غدوت صديقة جاليه ؟ .

- لقد توطدت بيننا أواصر الصداقة ، وكل منا يرى الآخر منذ ثلاث سنوات . وهو يتناول طعامه معى كل يوم .

- ولكنه مع ذلك لا يقيم معك فى شارع تورين .

- هذا يرجع إلى عائلته فهم أناس متزمتون ذوو مبادىء صارمة مثلهم فى ذلك مثل أهلى تماماً . وقد آثر هنرى أن يتحاشى الجدال مع أهله فتركهم على جهل بصداقتنا . وقد اتفقنا على أن نتزوج ونقيم فى الجنوب بعد أن تزول جميع العقبات وبعد أن نجمع ثروة تمكننا من العيش فى رغد وبحبوحة.

لم تكن تشعر بأى حرج أو إرتباك أمام أشد الأسئلة تطفلا وفى لحظة ما رأت نظرة القوميسير تهبط إلى ساقيها فخفضت ثوبها في بساطة وفي غير تكلف .

وقال ميجريه :

- أرانى مضطرا إلى أن أطلب منك بعض الايضاحات .. قلت ان هنرى يتناول طعامه فى بيتك فهل يشترك فى النفقات؟.

- هذا أمر عادى فأنا أدون كل ما أنفقه على الطعام .

- إنك تحدثت عن الاقامة فى الجنوب فهل استطاع هنرى أن يقتصد شيئاً ؟ .

- إنه فعل مثلى تماماً . ولعلك لحظت أنه ضعيف البنية وقد نصحه الأطباء بالاقامة فى الهواء الطلق . ولكن المرء لا يمكنه أن يعيش فى الهواء الطلق مادام مرغما على كسب قوته يوماً بعد يوم . أنا أيضاً أحب الريف ، ولهذا السبب فنحن نعيش عيشة بسيطة . قلت لك ان هنرى موظف فى مصرف سوفرينوس ، وهو مصرف صغير يقوم بالمضاربات لحساب العملاء . كنا نستطيع الاقتصاد فى المعيشة من ناحية ونستطيع بحكم وظيفته المضاربة فى البورصة كلما سنحت الفرصة لذلك من ناحية أخرى .

- بأى صيغة كان صديقك يتحدث عن أبيه عادة ؟ .

- كان يحقد عليه لعدم طموحه .. كان يقول ان من نكد الطالع أن يستمر أبوه وهو فى مثل هذه السن فى بيع ما يسميه «حدايده» ولكنه كان شديد الاحترام لوالديه ولاسيما أمه .

- هل كان يجهل اذن أن اميل جاليه لم يكن إلا نصابا فى الواقع ؟ .

- نصاب ؟ ... هو ؟ ...

- وإنه لم يعد يهتم «بحدايده» منذ ثمانية عشر عاماً .

- هل هذا صحيح ؟.

هل كانت تقوم بدور وهى تحدق بالنظر إلى التمثال الكاريكاتورى فى إعجاب ؟ .

- إننى لا أستطيع أن أصدق .. هو .. بميوله وعاداته وثيابه المضحكة وحركاته التى تشبه حركات المتقاعدين الفقراء ! .

- ماذا فعلت بعد ظهر يوم السبت ؟ .

- مشينا فى الخارج أنا وهنرى .. وعندما غادرنى ليذهب إلى فندق لاكومرس التقى بأبيه ... وتقابلنا فى الساعة الثامنة مساء ومشينا من جديد على الضفة الآخرى من النهر حتى حان موعد انطلاق القطار .

ألم تمرا بالفندق ؟ .

- بل رأينا من الأوفق أن نتجنب المرور أمامه .

- إذن فأنت قد عدت وحدك من المحطة .. هل اجتزت الجسر ؟ .

- أجل . وأخذت شمالي على الفور لأعود إلى بنسيون جرمان.فأنا لا أحب أن أجول وحدى في الليل .

- هل تعرفين تيبورس دى سان هيلير ؟ .

- من هو ؟ .. إننى لم أسمع بهذا الاسم من قبل .، أرجو أيها القوميسير ألا ترقى شبهاتك إلى هنرى .

وانتعش وجهها وامتلأ بالحيوية ولكنها ظلت محتفظة برباطة جأشها . إذا كنت قد أتيت لرؤيتك فذلك لأننى أعرفه .. لقد كان مريضاً دائماً وتطبع بطابع الشك والارتياب .. وقد نبقى ساعات طويلة من غير أن نتبادل كلمة واحدة .. ولكنها مصادفة ، أعرف جيدا أنها قد تبدو غريبة وتدعو إلى الشك . وهو متكبر إلى حد أنه لا يفكر فى الدفاع عن نفسه . اننى لا أعلم ماذا قال لك . ولكن هل أجاب عن أسئلتك ؟ . يمكننى أنا أن اقسم لك أنه لم يتركنى منذ الساعة الثامنة مساء حتى اللحظة التى استقل فيها القطار . كان عصبيا شديد الانفعال ، أشد ما يخشاه هو أن تقف أمه على صداقته لى لأنه يحبها

– كل منكما لحسابه الخاص ؟ .

– طبعا . فلا يمكننا التكهن بالظروف .. ولا يدرى أحد ما يخبئه الغد .

– وما هو رأس المال الذى كونتماه بهذه الطريقة ؟ .

– من الصعب تحديد ذلك فقد اشترينا بالمال أسهما تتغير قيمتها من وقت إلى آخر ... إن عندى مبلغا يتراوح بين أربعين وخمسين الف فرنك .

– وجاليه ؟ .

– أكثر منى فهو وان لم يجرؤ على المضاربة بأموالى اشفاقا من أن الومه فقد كان يجازف بأمواله . وقد أصبح يملك فى الوقت الحالى مائة ألف فرنك .

– وما هو المبلغ الذى اعتزمتما اقتصاده لتتمكنا من العيش فى الريف ؟ .

– خمسمائة ألف فرنك .. كنا ننوى أن نعمل ثلاث سنوات أخرى .

نظر ميجريه إليها فى شىء من الإعجاب ..وإن كان اعجابا يشوبه الاشمئزاز .

فقد كانت فى الثلاثين على حين كان هنرى فى الخامسة والعشرين ... كانا متحابين أو على الأقل صمم كل منهما على

أن يربط حياته بحياة الآخر .

إننى أتيت فى العشرين من يونية وفى نيتى أن أبقى شهرا.

– لماذا لم تنزلى فى فندق لالوار أو فندق لاكومرس ؟ .

– لغلو المعيشة فيها .. اننى لا أدفع فى بنسيون جرمان القائم فى آخر القرية أكثر من ٢٢ فرنكا فى اليوم .

– وجاء هنرى فى الخامسة والعشرين ؟ . فى أى ساعة ؟ .

– إنه لا يستطيع التحرر من عمله إلا يومى السبت والأحد. وهناك اتفاق علي أن يقضى يوم الأحد فى سان فارجو . وقد جاء صباح يوم السبت وغادر سانسر فى مساء اليوم نفسه فى آخر قطار .

– فى أى ساعة ؟ .

– فى الحادية عشرة والدقيقة الثانية والثلاثين . وقد رافقته إلى المحطة .

– هل كنت تعلمين أن أباه موجود هنا ؟ .

– قال لى هنرى أنه التقى به هنا . كان محنقا فى بادىء الأمر لأنه اعتقد أن أباه لم يأت إلى سانسر إلا للتجسس علينا . ولم يكن هنرى يريد أن يتدخل أهله فى شؤننا .

– هل يجهل آل جاليه قصة المائة الف الفرنك .

– طبعاً فان هنرى راشد .. وله الحق فى أن يعيش كما يحلو له .

حبا جما ويشفق أن تحاول أن تصرفه عني . وكل ما تمناه هو أن أعلم في أسرع وقت ممكن أن القاتل قد ألقى القبض عليه حتى اطمئن ويطمئن هنرى فهو من الذكاء بحيث يدرك أن لقاءه مع أبيه في مثل هذه الظروف لابد أن يولد شكا مروعا .

أخذ مجريه ينظر إليها في إعجاب وراح يتساءل .. لماذا لم يؤثر فيه دفاعها هذا الذى تستحق عليه التقدير على كل حال .

وبقيت اليونور رابطة الجأش حتى وهى تنطق بكلماتها الأخيرة في شيء من الانفعال . ودبر ميجريه أمره بحيث يكشف عن صورة كبيرة التقطتها إدارة تحقيق الشخصية للجثة كما عثروا عليها . وألقت اليونور عليها نظرة سريعة غادية ولكن لم يبد عليها انها تأثرت أى تأثر . وقالت تسأله :

- ألم تعثر على شيء ؟ .

- هل تعرفين مسيو يعقوب ؟ .

ورفعت عينيها إليه كما لو كانت تدعوه ليقرأ فيهما الصدق والإخلاص وقالت :

- إنني لا أعرف صاحب هذا الاسم . من هو ؟ .. هل هو القاتل ؟ .

فقال وهو يسير نحو الباب :

- ربمـــا .

وخرجت اليونور بورسانج تماما كما أقبلت وقالت وهى بالباب :

- هل تسمح أن آتى من وقت لآخر لأستقى الأنباء أيها القوميسير ؟.

- كما تشائين .

وكان الجاويش ينتظر في الخارج فى صبر نافد ،. وعندما اختفت الزائرة ألقى نظرة متسائلة إلى المفتش ولكن هذا الأخير سأله قائلاً :

- ماذا قالوا لك فى المحطة ؟.

- ركب الشاب القطار المنطلق إلى باريس فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثانية والثلاثين . وكانت معه تذكرة عودة بالدرجة الثالثة .

غمغم القوميسير فى صوت حالم :

- وقد ارتكبت الجريمة بين الحادية عشرة ومنتصف الساعة الواحدة .. ان الطريق من هنا إلى تراسي سانسر يقطعه المرء في عشر دقائق إذا سار على عجل . وقد ضرب القاتل ضربته بين الحادية عشرة والحادية عشرة والدقيقة العشرين .. فاذا كان قد قطع المسافة من هنا حتى المحطة فى عشر دقائق فهو قد استطاع أن يقطعها فى عشر دقائق عائداً من المحطة إلى هنا .. وفى

الإمكان أن يكون جاليه قد قتل فيما بين الثانية عشرة إلا ربعا وبين الثانية عشرة والنصف وأن يكون قاتله قد عاد من المحطة.

« ولكن هناك مسألة الباب ...

« ثم لماذا ذهب إميل جاليه إلى السور وماذا فعل فوقه ؟ »

جلس الجاويش فى المكان نفسه الذى كان يجلس فيه وراح يهز رأسه موافقاً وهو ينتظر بقية الحديث .. ولكن لم تكن هناك بقية اذ قال ميجريه :

- هلم بنا نتناول بعض المرطبات .

(٦)

موعد فوق السور

- ألم تجد شيئاً ؟.

- « ... تافه » .

- وما هى الكلمة التى ذكرتها لى منذ لحظة ؟ .

- اجراءات .. أعتقد ذلك على الأقل فالتاء ناقصة .. وقد تكون اجراءاتنا أو إجراءاتكم .

تنهد ميجريه وهز كتفيه وغادر الغرفة المعتدلة الجو حيث يعمل فيها منذ الصباح شاب طويل القامة نحيف الجسم أشقر الشعر ذو وجه مليء بالغضون ويتسم بذلك البرود المعروف عن أهل الشمال كان يجلس إلى المنضدة ويعكف على عمل كان يدعو أشد النساك إلى اليأس والقنوط .

كان يدعى جوزيف مويرز وتدل لهجته على أنه من أهالى مقاطعة الفلامندر .

كان موظفا فى إدارة تحقيق الشخصية بالبوليس القضائى . وقد أقبل إلى سانسر بناء على طلب ميجريه ونزل فى غرفة القتيل

حيث جمع معداته ومن بينها موقد غريب يعمل بالكحول .

ومنذ الساعة السابعة وهو لا يرفع رأسه عن عمله إلا إذا دخل القوميسير فجأة أو إذا أطل برأسه من النافذة وهو في طريق العشب ويسأل :

- ألم تجد شيئاً آخر ؟ .

- وأنى انذرك ....

- مـــاذا ؟ ..

- وجدت كلمتى « وانى انذرك » .. وإن كانت الكلمة الأخيرة تنقصها الكاف .

- وكان قد بسط فوق المنضدة ألواحا من الزجاج الرفيع يظن من يراها أنها من الورق كان يدهنها من وقت لآخر بصمغ سائل ويلتقط بعض القصاصات المحترقة فيضعها فوقها .

وكانت أمامه حقيبة عبارة عن معمل كامل متنقل . وكانت أكبر القصاصات حجما لا يتجاوز طولها سبعة أو ثمانية سنتيمترات .. أما أصغرها فكانت غبارا ...

تافه .. اجراءات .. وأنى انذرك .

كانت هذه هي كل الكلمات التي عثر عليها بعد عمل متواصل استمر ساعتين . ومع ذلك فقد بقى هادئاً على عكس ميجريه لا يظهر عليه أى ضيق إذ خطر له أنه لم يفحص غير

جزء صغير جدا مما تحويه المدفأة .

وكانت هناك ذبابة كبيرة تطن وتدور حول رأسه . وقد حطت على جبينه ثلاث مرات ولكنه لم يأت بأى حركة ليطردها عنه بل لعله لم يحس بها على الإطلاق .

وقال يخاطب ميجريه :

– إن ما يضايقنى هو انك تتسبب فى حدوث تيار فى كل مرة تدخل فيها من الباب .. وقد أضعت منى بعضا من الرماد بهذه الطريقة .

– حسنا ... سوف أدخل من النافذة اذن .

لم يحتد فى رده . بل أنه نفذ قوله فعلا . وكانت الملفات لا تزال فى مكانها بالغرفة التى اختارها ميجريه لتكون مكتبا له . وكانت الثياب الملقاة فوق الأرض لا تزال كما هى فى موضعها لم تمس، كما كان الخنجر لا يزال مغروزاً فى موضع القلب .

كان القوميسير شديد اللهفة لمعرفة نتيجة الإختبار الذى أصدر أوامره للقيام به وفى انتظار ذلك لم يكن يستقر فى مكان.

ومرت به ربع ساعة وهو يسير فى طريق العشب مطرقا ويداه معقودتان خلف ظهره . ووثب من النافذة أخيراً إلى الداخل بعد أن كادت الشمس الحامية تسلقه . وجفف عرقه وزمجر قائلاً :

– إن الوقت يمر سريعا دون أن نصل إلى نتيجة .

هل سمعه موبرز ؟ لم يظهر عليه ما يدل على ذلك . وإذا كان قد سمعه فإنه لم يرفع رأسه عن ألواحه الزجاجية التى تغطيها بقع سوداء غير متناسقة .

وكان ميجريه لا يستقر فى مكان فلم يكن هناك ما يعمله أو على وجه أصح كان يحاول ألا يفعل شيئاً قبل أن يعرف نتيجة الأوراق التى احرقت ليلة الجريمة .

وبينما كان يسير جيئة وذهابا فى الطريق الذى تحف به الأشجار والأغصان وتتراقص فيه الظلال والأضواء على شخصه المتحرك كان لا ينفك يردد فى ذهنه الأفكار نفسها .

– كان فى مقدور هنرى واليونور بورسانج قتل اميل جاليه قبل أن يذهبا إلى المحطة .. بل لعل إليونور عادت وحدها لقتله بعد رحيل صديقها .. ثم هناك هذا السور وأخيراً ذلك المفتاح .. وهناك فوق ذلك مسيو يعقوب الذى عمد جاليه إلى إخفاء خطاباته بذلك الحرص البالغ .

وذهب مرارا ليفحص القفل الحديدى ، ولكنه كان يعود دائماً بالنتيجة نفسها . وبينما هو يمر أخيراً بالمكان الذى تسلق منه اميل جاليه السور عزم على شىء فجأة فخلع « سترته » ووضع قدمه الأيمن فى أول فراغ بين الأحجار .

كان يزن مائة كيلو ، ومع ذلك لم يشعر بأى مشقة فى

التعلق بالأغصان المدلاة . وما أن أمسك بها حتى كان التسلق مجرد لعبة بالنسبة له

كان السور مبنيا من الحجر الدبش تغطيه طبقة من «المونة» والجير وتنتهى قمته بصف من الطوب الأحمر نبتت فوقه أعشاب وطحالب قصيرة .

وتبين ميجريه من مكانه فى وضوح مويرز وهو عاكف على فك رموزه بعدسته المكبرة . وصاح :

– هل من جديد ؟ .

– س ونقطة .

ولم يكن فوق رأسه أوراق شجرة قرو ولكن أغصان شجرة زان ضخمة يقوم جذعها داخل السور .

واضطر أن ينحنى إذ لم يكن السور عريضا وكان يخشى أن يفقد توازنه. وفحص الطحلب على يمينه وعلى يساره ثم هتف :

– عجبا .. عجبا .

لم يكن الكشف هائلاً .. فقد لحظ أن الطحلب يبدو كما لو كان بعضهم قد داس عليه بقدميه ، بل أن بعضا منه انتزع من مكانه تماماً فى الموضع الذى بدت تحته الخدوش فوق السور ولم يكن هناك آثار أخرى فى أى مكان آخر .

وكان الطحلب هشا . وقد تأكد هو نفسه من ذلك . وأدرك أن اميل جاليه لم يتنقل فوق السور وأنه لم يقطع ولا مترا واحدا فى أي ناحية من الناحيتين .

وقال يحدث نفسه :

– بقى أن نعرف إذا كان قد هبط داخل الحديقة .

لم يكن ذلك المكان من الحديقة، إذا أردنا أن نتوخى الدقة، بل كان عبارة عن فراغ تحيط به أشجار كثيرة تخفيه عن العيان، ولا ريب أن هذا هو السبب نفسه الذى دفع صاحب القصر إلى أن يتخذه مخزنا للمهملات .

فعلى بعد عشرة أمتار من ميجريه تكدست براميل فارغة نزعت غطيانها وصناديق قديمة وزجاجات كانت تحتوى على أدوية مختلفة ومنتجات كيمائية ومحصدة غير صالحة للاستعمال وأدوات علاها الصدأ وربط كثيرة من اعداد قديمة من جريدة هزلية بللها المطر وجففتها الشمس فاصفر لونها وتلوثت بالطين .

وقبل أن يهبط ميجريه من فوق السور تأكد من أنه لا توجد أية آثار تدل على أن جاليه قد هبط إلى هذه الناحية وزيادة منه فى الحرص آثر ألا يترك خلفه آثارا ما فوثب إلى الأرض ، وكان المكان عالياً بعض الشىء فهبط على أربع .

ولم ير من فيللا تيبورس دى سان هيلير غير بضع نقط مضاءة من خلال أغصان الشجر. وسمع صوت موتور يدور وكان يعرف منذ الصباح أن ذلك الموتور يستخدم فى رفع المياه من البئر إلى

صهاريج القصر .

وكان المكان، بسبب البقايا والمهملات المكدسة غنيا بالذباب واضطر القوميسير أن يبعدها بيديه من لحظة لأخرى فى غيظ .

- لنفحص السور أولاً .

وكان هذا الفحص سهلا . فقد طلى السور من الداخل أيضاً بالجير . ولكن لم يكن هناك أى أثر يدل على أن جاليه قد هبط إلى داخل السور وكذلك لم يكن هناك أى أثر لأقدام ما فى دائرة قطرها عشرة أمتار .

ولكن ، على العكس من ذلك ، وعلى مقربة من البراميل الفارغة والزجاجات القديمة لاحظ القوميسير أن برميلا وضع على مسافة متر من السور تقريباً . ووثب ميجريه فوقه ورأى أن رأسه ارتفع عن السور قليلاً ، على بعد عشرة أمتار ونصف بالتدقيق من المكان الذى وقف جاليه فيه .

ومن مكانه هذا أيضاً رأى مويرز يعمل بلا انقطاع وبدون أن يتوقف حتى ليجفف عرقه .

- ألم تجد شيئاً آخر ؟ .

- لكينيانكور .. ولكننى أعتقد أننى قد اهتدى إلى جملة لا بأس بها .

ولم يكن الطحلب فوق السور. فى الموضع نفسه أمام البراميل

منزوعا ولكنه كان محطماً كما لو كان بعضهم اتكأ بذراعيه عليه .

وقام ميجريه بالتجربة فاتكأ بذراعيه على موضع آخر وحصل على نتيجة مشابهة .

- هذا يدل على أن اميل جاليه تسلق السور من الناحية الأخرى ولم يهبط إلى الداخل .. وأن رجلا أقبل من داخل القصر ووقف فوق هذا البرميل . ولو كان الذين أحدثوا هذه الآثار زوجا من العشاق لبدا ذلك مفهوما وخاصة إذا كان أحدهما قد نقل البرميل إلى حيث كان يقف زميله . ولكن الثابت قطعا أن الموضوع يبعد كل البعد عن موعد غرامي فأحد الشخصين كان من غير شك اميل جاليه الذى خلع «سترته» ليتسلق السور ، وهى رياضة لم تكن محببة إلى قلبه .. أفيكون الشخص الآخر تيبورس دى سان هيلير ؟ ... ان الرجلين قد التقيا مرتين قبل ذلك . المرة الأولى فى الصباح والمرة الثانية بعد الظهر . ولم ينكر سان هيلير ذلك ، وليس من المعقول أن يستخدما هذه الوسيلة الغريبة للقاء مرة ثالثة فى الظلام . ولقاء غريب .. كل منهما على بعد عشرة أمتار من الآخر .. ما كان فى مقدور أحدهما أن يسمع الآخر من غير أن يثيرا الانتباه إليهما . وصاح يقول فى صوت عال :

- إلا إذا كانا قد أقبلا كل على حدة .. وإذا كان أحدهما قد سبق الآخر ؟ ... ولكن من من الاثنين سبق الآخر فى تسلق السور ؟ .. وهل التقى الرجلان ؟ من الموضع الذى به البرميل حتى غرفة جاليه كانت المسافة سبعة أمتار تقريباً .. أى المسافة نفسها التى انطلقت منها الرصاصة .

وتحول ميجريه خلفه وما كاد يفعل حتى رأى البستانى يرقبه فى استغراب .

وخاطبه القوميسير قائلاً :

- آه .. أهذا أنت ؟ .. أين سيدك ؟ .

- لقد خرج للصيد .

- أنت تعرف أننى من رجال البوليس .. أريد أن أخرج من هنا من غير أن أتسلق السور .. فهل يمكنك أن تفتح الباب الذى يفضى إلى طريق العشب ؟ .

فاكتفى البستانى بأن أجاب وهو يتقدم نحو الباب :

- هذا أمر يسير .

- هل معك المفتاح ؟ .

- لا . ولكنك سوف ترى .

وعندما بلغ الباب وضع يده بدون تردد فى فراغ قائم بين حجرين ولكنه لم يلبث أن أخرجها وهو يقول دهشا :

- عجبا ..

- ما الخبر ؟ .

- لا أجد المفتاح .. ومع ذلك فقد وضعته أنا نفس فى العام الماضى بعد أن أخرجنا منه إشجار القرو الثلاثة التى اقتلعناها.

- وهل يعرف سيدك هذا ؟ .

- طبعـــا .

- ألا تذكر أنك رأيته يخرج من هذا الباب ؟ .

- أنه لم يفعل ذلك منذ العام الماضى .

صورة أخرى للحقائق بدأت ترتسم اوتوماتيكيا فى ذهن القوميسير : تيبورس دى سان هيلير واقف فوق البرميل يطلق الرصاص على جاليه ثم يخرج من الباب الحديدى ويثب من النافذة إلى غرفة ضحيته .

ولكن لم يكن هذا معقولا فاذا فرضنا جدلا أن القفل الذى علاه الصدأ انفتح على الفور فقد كان لابد له من ثلاث دقائق على الأقل لاجتياز الطريق الذى يفصل بين الباب والنافذة ، وفى اثناء هذه المدة بقى أميل جاليه واقفا وقد أطيح نصف وجهه ومن غير أن يصرخ أو أن يقع أخرج خنجره من جيبه ليواجه غريمه المحتمل .

كان هذا يبدو زائفاً بعيداً عن الواقع .. كانت هذه النظرية

هى الوحيدة التى تتألق منطقيا مع الدلائل الملموسة . كان هناك رجل خلف السور على كل حال . كانت هذه حقيقة ثابتة لا يتطرق إليها الشك .. ولكن لم يكن هناك ما يؤكد أن ذلك الرجل هو تيبورس دى سان هيلير نفسه ماعدا المفتاح الضائع كما لم يكن هناك ما يؤكد أن ذلك الرجل كان فى الناحية الأخرى للسور .

ومن ناحية أخرى كان فى سانسر ، فى ذلك الوقت شخصان آخران قريبا الصلة بأميل جاليه فى إمكانهما الافادة من موته، لم يكن هناك ما يدل على انهما وضعا أقدامهما فى طريق العشب.. وهذان الشخصان هما هنرى جاليه واليونور بورسانج .

ورأى مويرز ينحنى من النافذة وسمعه يصيح :

– أيها القوميسير ...

– هل من جديد ؟ .

ولكن الشاب كان قد اختفى داخل الغرفة .

وقبل أن يتحول القوميسير ليجتاز الحديقة نحو الباب الآخر دفع الباب الحديدى فانفتح على غير انتظار . وهتف البستانى وهو ينحنى نحو القفل :

– هذا غريب .. إنه غير مغلق ... أليس هذا غريباً ؟.

وأوشك ميجريه أن يطلب منه ألا يذكر لسان هيلير شيئاً عن

زيارته ولكنه بينما كان يحدق بالنظر إلى الرجل رأى الغباء مطبوعا على وجهه فلم يشأ أن يزيد الأمور تعقيداً .

وقال بعد ثوان مخاطبا مويرز :

- لماذا دعوتني ؟ .

وكان هذا الأخير قد أشعل شمعة ونظر من خلال لوحة زجاجية مغطاة كلها تقريبا بالسواد وقال وهو يلقى برأسه إلى الخلف فى إرتياح لينظر إلى نتيجة عمله :

- هل تعرف شخصا اسمه مسيو يعقوب ؟ .

- نعم ... ما الخبر ؟ .

- لا شيء ... احدى الرسائل المحترقة كانت بامضاء مسيو يعقوب .

- أهذا كل شيء ؟ .

- تقريبا ... كانت مكتوبة على ورقة ذات مربعات انتزعت من « بلوكنوت » عادي ولم أجد بها غير بضع كلمات «حتما» .. أعتقد ذلك على الأقل لأن الحرف الأخير ناقص ... و «يوم الإثنين» .

انتظر ميجريه البقية مقطب الجبين وهو يضغط على مبسمه بأسنانه :

- وبعد ؟ .

- هناك كلمة « سجن » وموضوع تحتها خطان .. وهناك أيضاً « اوراقا مالية » وأخيرا العدد « ٢٠٠٠٠ » .

- أليس هناك أى عنوان ؟ .

- ذكرته لك منذ لحظات .. « كلينيكانكور » .. ومما يؤسف له حقاً أننى عاجز عن ترتيب وضع هذه الكلمات .

- والخط .

- ليس هناك أى خط .. فالرسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة.

وكان مسيو تارديفون قد اعتاد أن يقوم هو نفسه على خدمة ميجريه وكان يفعل ذلك فى تكتم وحرص وفى شىء من الألفة فى الوقت نفسه .

وهتف وهو يطرق الباب :

- برقية لك أيها القوميسير .

وكان يود لو أن يدخل الغرفة حيث يثير حيرته العمل الذى يقوم به مويرز ولكنه عندما رأى أن القوميسير يهم باغلاق الباب سأله فى رقة :

- إلا أقدم لك شيئاً ؟ .

فقال ميجريه فى لهجة قاطعة وهو يفض البرقية :

- لاشىء .

كانت البرقية من البوليس القضائى بباريس . وكان ميجريه قد طلب معلومات معينة . وكان هذا نصها :

« لم يترك اميل جاليه وصية . والميراث عبارة عن «فيللا» سان فارجو وتقدر بمائة ألف فرنك - بما فيها من أثاث - وثلاثة آلاف وخمسمائة فرنك فى المصرف . أورور جاليه تنتفع بثلثمائة ألف فرنك قيمة وثيقة تأمين لزوجها على حياته فى سنة ١٩٢٥ بشركة لابى .. هنرى جاليه عاد إلى عمله بمصرف سوفرينوس يوم الخميس .. اليونور بورسانج غائبة عن باريس وتقضى أجازتها فى اللوار .

وحدق ميجريه بالنظر إلى الفضاء لحظة ثم تحول إلى هنرى مويرز وسأله قائلاً :

- هل تعرف شيئاً عن وثائق التأمين على الحياة ؟ .

فأجابه الشاب فى تواضع :

- إلى حد ما .

وكان يضع فوق عينيه « عوينات » ضيقة بحيث كان وجهه يبدو متصلبا . وقال ميجريه :

- فى سنة ١٩٢٥ كان جاليه قد تجاوز الخامسة والأربعين من عمره ... وكان مريضا بالكبد .. فكم تعتقد أنه يدفع فى السنة ليحصل على تأمين على حياته بثلثمائة ألف فرنك ؟ .

تحركت شفتا مويرز دون أن يصدر منهما أى صوت واستمر هكذا بضع لحظات وأخيراً قال :

- عشرون ألف فرنك فى السنة .. ولا ريب أنه وجد مشقة كبيرة لكى يقنع الشركة بقبول هذا الخطر .

نظر ميجريه فى حنق إلى صورة جاليه . وكانت لا تزال فوق المدفأة فى الزاوية التى كانت عليها فوق المعزف بسان فارجو .

- عشرون ألف فرنك .. وكان لا ينفق أكثر من ألفى فرنك فى الشهر أو بوجه أصح نصف ما يحصل عليه تقريبا . بشق النفس من المشايعين للملكية .

وانتقلت نظرته من الصورة إلى « البنطلون » الأسود البراق المتآكل عند الركبتين والملقى فوق الأرض .

واستعاد فى ذهنه صورة مدام جاليه بثوبها الحريرى البنفسجى وجواهرها وصوتها الحاد .

وود لو أن يسأل صاحب الصورة .

- أكنت تحبها إلى هذا الحد ؟ .

وأخيراً هز كتفيه وتحول إلى السور الذى يبرق تحت اشعة الشمس والذى تسلقه اميل جاليه وهو يرتدى القميص منذ ثمانية أيام .

وقال يخاطب مويرز وفى صوته شىء من الملل :

- مازال هناك بعض الرماد فحاول أن تجد المزيد عن هذا اليعقوب .. من هو هذا المغفل الذى قال لى أنه لا يعرف إلا يعقوب الإنجيل ؟ .

وأطل طفل من النافذة وابتسم ابتسامة كبيرة على حين ارتفع من الشرفة صوت رجل يقول فى لين :

- هلا تركت هؤلاء السادة يعملون يا أميل ! .

وزمجر ميجريه وقال يحدث نفسه :

- آه ... اميل آخر .. ولكن هذا الاميل على قيد الحياة على الأقل .. على حين الآخر ..

ولكنه استطاع أن يملك نفسه وان يثب من النافذة من غير أن ينظر إلى الصورة .

(٧)

إذن جوزيف مويرز

كان الحر لا يطاق، وكانت الصحف تصف كل صباح أضرار العواصف التى تجتاح أنحاء فرنسا ومع ذلك فقد مرت ثلاثة أسابيع لم تسقط فيها قطرة مطر واحدة على سانسر أو ضواحيها .

وبعد ظهر ذلك اليوم كانت الشمس تسلط أشعتها الحامية على الغرفة التى نزل بها اميل جاليه بحيث أحالتها جحيما لا يحتمل البقاء فيها .

ومع هذا ، وفى ذلك اليوم نفسه ،، وكان يوم سبت اكتفى مويرز بأن أسدل الستارة المصنوعة من القماش الأبيض أمام النافذة المفتوحة . ولم تنقض نصف ساعة على فراغه من طعام الغداء حتى كان ينحنى من جديد على الواحه الزجاجية وقصاصاته السوداء وقد عكف على عمله فى إنتظام رتيب .

ومرت دقائق راح ميجريه يحوم حوله ويلمس بيده كل شىء ويجر قدميه فى تردد وتنهد أخيراً ثم قال :

- اسمع يا صاحبى أننى لا أحتمل هذا الجو .. أننى أعجب بك ولكنك لا تزن مائة كيلو مثلى .. ينبغى أن أخرج وأقبع قليلا فى مكان رطب ...

ولكن اين يلجأ وأين يلوذ من هذا الحر الشديد .. أفى الشرفة ؟ كان بها قليل من الهواء ولكنها كانت مشحونة بالنزلاء وأولادهم .

وفى المقهى ندر أن تمر نصف ساعة من غير أن يسمع صوت اصطدام كرات البلياردو بعضها ببعض .

ولم يجد ميجريه أمامه أخيراً إلا أن يذهب إلى الفناء . وكان الظل قد امتد حتى غطى نصفه . واستدعى احدى الخادمات وأمرها قائلاً :

- أحضرى لى مقعدا هزازاً .

- هل تفكر فى أن تستريح هنا ؟.. سوف يزعجك صخب المطبخ.

ولكنه آثر صخب المطبخ وصوت الدجاج على ضجيج الناس . وجر مقعده الهزاز حتى البئر وبسط جريدة فوق وجهه ليحتمى من لسعات الذباب وتأهب للنعاس .

وشيئاً فشيئاً بدأ صوت غسل الآنية والأطباق يبدو وكأنه آت من عالم بعيد غير حقيقى وأفلت من سلطان القتيل الذى كان يلح

عليه ولم يلبث أن راح فى غيبوبة لذيذة .

فى أية لحظة بالذات سمع صوت الطلقتين ؟ على كل حال لم تتمكنا من انتزاعه من خدره لأنه أعقبهما فى ذهنه على الفور حلم غريب فسر له صوتهما تفسيرا آخر .

فقد رأى نفسه جالسا فى شرفة الفندق وتيبورس دى سان هيلير يمر أمامه وهو يرتدى حلة خضراء ويتبعه اثنا عشر كلباً من كلاب الصيد الطويلة الأذنين .

وقال له :

- سألتنى فى اليوم السابق إذا كان الصيد متوفرا فى البلد ؟.

ورفع بندقيته إلى كتفه وأطلق طلقتين مصادفة واتفاقا سقط على أثرهما سرب من الطير بدا كأوراق الشجر الميتة .

- أيها القوميسير ... أسرع .

وصحا مفزوعا .. ورأى أمامه فتاة من الخدم قالت له :

- طلقات نارية .. فى الغرفة ..

ولا تسل عن خجله وهو يتحقق من ثقله والناس حوله يسرعون إلى الفندق . ولم يكن أول من بلغ غرفة جاليه حيث رأى موبرز واقفا على مقربة من المنضدة ووجهه بين يديه .

وصاح بلهجة الآمر :

- اخرجوا جميعا .

وسأله مسيو تارديفون :

- هل استدعى طبيبا ؟ .. هناك دم .. انظر ..

- نعم .. اذهب .

وأغلق الباب وأسرع إلى الشاب :

- ما الخبر يا صاحبى ؟ .

وكان قد رأى الدم . وهو دم كثير .. فى كل مكان .. على يدى موبرز وعلى الألواح الزجاجية .. وفوق الأرض .

- ليس الأمر خطيرا أيها القوميسير .. هى اذنى .. انظر.

وترك لحمة أذنه لحظة خاطفة وما كاد يفعل حتى سال الدم وكان الشاب قد اصفر لونه ومع ذلك فقد حاول أن يبتسم كما حاول التحكم فى حركة فكيه العصبية .

كانت الستارة لا تزال مسدلة تحمى الغرفة من أشعة الشمس الحامية وتكسبها لونا برتقاليا .

- ليس الجرح خطيرا .. أليس كذلك ؟ . لا يدمى شىء بهذه الصورة المزعجة مثل الأذن .

- ليهدأ روعك يا صاحبى .. خذ نفسك .

فقد كان الشاب يتكلم بصعوبة وأسنانه تصطك بعضها ببعض.

- لم يكن ينبغى أن أضع نفسى فى مثل هذه الحالة .. ولكن ليس لى حيلة في ذلك فلم أعتد شيئاً من هذا ... كنت قد غادرت مكانى لآخذ ألواحا جديدة .

وكان يضغط بمنديله على اذنه محاولا ايقاف الدم فاصطبغ المنديل . واتكأ بيده الأخرى على المنضدة واستطرد يقول :

- كنت أقف فى هذا المكان على وجه التحديد .. وسمعت الطلقة وأقسم لله أننى أحسست باندفاع الهواء بالقرب من عينى بحيث أننى ظننت أن « عويناتى » انتزعت من مكانها .. وقد ارتددت إلى الخلف ، ولكن فى اللحظة نفسها وبعد الطلقة الأولى على الفور تقريبا دوت طلقة ثانية وحسبت اننى مت.. وسمعت ضجيجا فى رأسى كما لو كان مخى أخذ يغلى.

وابتسم ابتسامة حاول أن تكون عادية واستمر يقول :

- وأنت ترى .. ليس الأمر بذى أهمية .. قطعة من اذنى طارت. كان ينبغى أن أهرع إلى النافذة ولكنى لم أقو على الحراك .. خيل لى أن طلقات أخرى سوف تنطلق .. ولم أكن أدرى قبل ذلك شيئاً عن الرصاص .

واضطر أن يجلس فان رد الفعل الذى أعقب اطلاق الرصاصتين والخوف الذى تملكه نتيجة لذلك الانا ساقيه .

- لا تشغل بالك بأمرى .. ابحث عنه .

وظهرت على جبينه فجأة حبات من العرق وأدرك ميجريه أن الشاب موشك على الإغماء فأسرع إلى الباب وصاح :

- مسيو تارديفون .. أرجو أن تهتم به .. هل استدعيت الطبيب ؟ .

- إنه ليس فى بيته .. ولكن ها هو ذا أحد نزلائى ، وهو ممرض .

وأزاح ميجريه الستارة ووثب من النافذة وهو يرفع غليونه إلى فمه بحركة آلية ومن غير أن يحشوه .. كان ممر العشب مقفراً ، نصفه يغطيه الظل والنصف الآخر تغمره أشعة الشمس وحرارتها . وفى آخره الباب الحديدى وكان مقفلا .

ولم ير القوميسير شيئاً غير عادى فوق السور أمام الغرفة ولم يكن هناك جدوى من البحث عن آثار أقدام بين هذه الحشائش الجافة فهى لا تحتفظ بآثار الأقدام كما يحدث فى الأماكن الحجرية أو الرملية .

وأسرع نحو « الرصيف » حيث اجتمع نحو عشرين شخصا وقد بدا عليهم التردد .

- هل كان بعضكم موجودا هنا عندما أطلق الرصاص ؟ .

أومأ الكثيرون بالايجاب .. وتقدم بعضهم ... وعاد ميجريه يقول :

- هل رأيتم أحدا يجتاز هذا الطريق ؟ .

فأجابه رجل قصير القامة نحيف الجسم يرتدى صديرا متعدد الألوان

- لم يمر أحد من هنا منذ ساعة تقريبا .. اذهب إلى أمك يا شارلو .. إننى لم أنتقل من مكانى هذا منذ مدة كبيرة ، ولو أن القاتل قد أخذ هذا الطريق لكنت رأيته بكل تأكيد .

- هل سمعت الطلقتين ؟ .

- كما سمعهما الجميع .. وقد ظننت أن قوما يصطادون فى القصر المجاور ولكنى تقدمت بضع خطوات على كل حال .

- ألم تر شخصا ما بالممر ؟ .

- لم يكن به أى شخص .

- ولكنك لم تنظر خلف الأشجار طبعا .

ودار ميجريه حول كل شجرة لا لشىء إلا ليريح ضميره ثم سار نحو الباب العمومى للقصر الصغير . وكان البستانى يجر عربة صغيرة محملة بالحصى فسأله :

- أين سيدك ؟ .

- عند موثق العقود . ففى مثل هذا الوقت من كل يوم يلعبون الورق هناك .

- هل رأيته يغادر القصر ؟ .

- أجل .. وقد غادره منذ ساعة ونصف .

- ألم تلتق بأحد فى الحديقة ؟ .

- كلا . لم ألتق .. لماذا ؟ .

- أين كنت منذ عشر دقائق ؟ .

- على شاطىء النهر .. أنقل الحصى إلى العربة .

نظر ميجريه مليا إلى عينى الرجل ... كان صادقاً .. ثم إنه كان من الغباء بحيث لا يخطر له أن يكذب .

وتقدم القوميسير بدون أن يعيره أدنى إهتمام حتى بلغ البرميل الموضوع بجوار السور وفحص المكان جيدا ولكنه لم يجد ما يدل على أن القاتل مر من هذا المكان .

وفتح الباب الحديدى ولكنه لم يصل إلى نتيجة من هذه الناحية أيضاً .. فلم يجد ما يدل على أن الباب فتح مرة أخرى منذ أن أغلقه هو فى الصباح .

ومع ذلك فقد اطلقت رصاصتان ! .

وفى الفندق كان النزلاء قد عادوا إلى أماكنهم وبدءوا يتحدثون فى موضوعات أخرى عامة . وقال تارديفون وهو يسرع للقاء ميجريه :

- ليس الجرح خطيرا .. علمت الآن أن الطبيب موجود عند موثق العقود فهل استدعيه ؟ .

- وأين بيت موثق العقود ؟ .

- فى الميدان بجوار مقهى لاكومرس .

- لمن هذه الدراجة ؟ .

- لا أدرى .. يمكنك أن تأخذها على كل حال .. هل تذهب أنت نفسك ؟ .

جلس ميجريه فوق مقعد الدراجة التى كادت تنوء به . وبعد خمس دقائق كان يدق الجرس فى بيت فسيح الأرجاء نظيف معتدل الجو وفتحت خادم عجوز - تلبس مئزرا أبيض ذا مربعات زرقاء - كوة بالباب ونظرت إليه متسائلة فقال :

- هل الطبيب موجود ؟ .

وفتحت فى هذه اللحظة احدى نوافذ الدور الأرضى على مصراعيها وأطل منها رجل بشوش فى يده اليمنى بعض أوراق اللعب وسأل :

- أهى زوجة الحارس ؟ .. إننى قادم على الفور .

- بل جريح إيها الطبيب .. هل تتكرم بالذهاب فورا إلى فندق لالوار ؟ .

- ليس فى الأمر جريمة على الأقل ؟ .

كان هناك ثلاثة أشخاص يجلسون أمام منضدة تلمع فوقها كئوس من الكريستال هبوا واقفين عندما سمعوا الكلمات الأخيرة

ورأى ميجريه بينهم دى سان هيلير .

- جريمة .. نعم .. ارجو أن تذهب حالا .

- هل مات ؟ .

- لا . خذ معك بعض الضمادات .

لم يحول ميجريه عينيه عن سان هيلير وكان قد لاحظ أن صاحب القصر الصغير بادى الإنزعاج . وقال :

- هل تسمحون لى بسؤال ايها السادة ؟ .

وتدخل موثق العقود فى هذه اللحظة فقال :

- رويدك .. ولكن لماذا لم يدعوك تدخل ؟ .

وما سمعت الخادم كلماته هذه ختى فتحت الباب على الفور.

واجتاز القوميسير الممر الصغير ودلف إلى صالون تسوده رائحة السجاير والخمر المعتقة .

وصاح صاحب البيت ، وكان عجوزاً شديد العناية بنفسه ناعم الشعر ذا بشرة رائقة كبشرة الأطفال :

- ما الذى حدث ؟ .

وتظاهر ميجريه أنه لم يسمع وقال :

- أريد أن أعرف منذ متى وانتم تلعبون أيها السادة ؟ .

نظر العجوز إلى ساعة الحائط وأجاب :

- منذ ساعة تقريباً .

- ألم يغادر أحد منكم الغرفة فى أثناء اللعب ؟ .

تبادل الجميع النظرات فى دهشة واستغراب . وأجاب صاحب البيت :

- نعم . لم يغادر أحد .. فنحن أربعة فقط ، أى العدد الضرورى للعبة البريدج .

- هل أنت واثق ؟ .

اضطرب دي سان هيلير وقال يسأل فى صوت مبحوح :

- ومن الضحية ؟ .

- موظف بالبوليس القضائي كان يعمل بغرفة اميل جاليه .. كان يهتم برجل اسمه مسيو يعقوب .

وهتف موثق العقود :

- مسيو يعقوب ؟ .

- هل تعرفه ؟ .

- لا . لا ريب أنه يهودى .

- هل يمكن أن أسألك معروفا يامسيو دى سان هيلير ؟ ... أريد أن تفعل المستحيل لتعثر علي مفتاح الباب الحديدى ... وإذا دعت الضرورة فسوف أجند بعضا من رجالى ليعاونوك فى تفتيش « الفيللا » .

ولم تفت ميجريه حركة صاحب القصر الذى رفع كأسه إلى

شفتيه على الفور وجرع ما فيه مرة واحدة وقال :

- معذرة لازعاجى إياكم أيها السادة .

- ألا تتناول كأساً معنا ؟ .

- فى وقت آخر ... شكراً لك .

وانصرف بالدراجة وما هى إلا لحظات حتى بلغ بيتا عتيقا علقت عليه لافتة قديمة عليها هاتان الكلمتان : « بنسيون جرمان» .

كان بيتا قديما يوحى منظره بأن كل ما فيه يصرخ بالفقر نظافته غير مؤكدة ، جلس طفل قذر على عتبته وإلى جانبه كلب يقرض عظمة التقطها من صندوق القمامة .

- هل الآنسة بورسانج موجودة ؟ .

وظهرت امرأة من داخل البيت وعلى ذراعها طفل وليد وقالت:

- إنها خرجت كما تفعل بعد ظهر كل يوم .. ولكنك تجدها من غير شك على الربوة بالقرب من القصر الصغير لأنها أخذت معها كتاباً وهى تقضى وقتها هناك فى المطالعة .

- هل يؤدى هذا الطريق إليها ؟ .

- سر إلى آخر الشارع ثم سر على يمينك وسوف تجدها بعد المنزل الأخير .

وفى منتصف الطريق اضطر ميجريه أن يهبط من دراجته ، إذ كانت هناك مرتفعات ومنخفضات كثيرة، وأن يدفعها بيديه. كان مضطربا على الرغم من أنه حاول أن يملك نفسه ولعل اضطرابه كان راجعا إلى احساسه بأنه يجرى وراء أثر خاطىء .

ان سان هيلير لم يطلق الرصاص وهذا أكيد .. ومع ذلك ..

واجتاز فى طريقه متنزها عاما . وإلى يساره ، وفى شارع آخذ فى الإنحدار بعض الشيء جلست طفلة وإلى جوارها ثلاث عنزات مربوطة إلى أوتاد قائمة على جانب الطريق .

وانحنى الشارع فجأة . فرأى أمامه على بعد مائة متر تقريباً اليونور بورسانج جالسة فوق مقعد وفى يدها كتاب مفتوح.

ونادى الطفلة. وكانت تناهز الثانية عشرة من عمرها وسألها:

- هل تعرفين هذه السيدة الجالسة هناك ؟ .

- نعم يا سيدى .

- هل تأتى للمطالعة هنا كثيراً ؟ .

- أجل يا سيدى .

- كل يوم ؟.

- أظن ذلك يا سيدى.. ولكننى لا أراها عندما اذهب إلى المدرسة .

- فى أى ساعة اقبلت اليوم ؟

- منذ وقت طويل يا سيدى، بعد أن تناولت غدائى مباشرة.
- وأين تقيمين ؟ .
- فى البيت الذى تراه هناك .
وأشارت إلى بيت ريفى يبعد حوالى خمسمائة متر .
- هل كانت السيدة جالسة فى ذلك الوقت ؟ .
- لا يا سيدى .
- ومتى أقبلت ؟ .
- لا أدرى يا سيدى ... منذ ساعتين تقريباً .
- ألم تغادر مكانها ؟ .
- كلا . لم تغادره يا سيدى .
- هل معها دراجة ؟ .
- لا يا سيدى .

اخرج ميجريه قطعة من ذات الفرنكين ودسها فى يد الطفلة من غير أن ينظر إليها . وضغطت الطفلة على قطعة النقود وبقيت مدة طويلة من غير حراك وقد حولت عينيها إليه على حين ركب هو دراجته وقفل عائداً .

وتوقف عند مكتب البريد وأرسل إلى باريس برقية هذا نصها:

« أريد أن أعرف فوراً أين كان هنرى جاليه فى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم السبت . ميجريه بسانسر »

*　*　*

- دع هذا العمل الآن يا صاحبي .

- ولكنك قلت لي انه ضروري وعاجل ... ثم أنني لم أعد أشعر بشيء أيها القوميسير .

يالمويرز الشجاع ! كان الطبيب قد ضمد له جرحه وبدت الضمادة كبيرة جدا كما لو كانت قد أطلقت علي رأسه ست رصاصات . وبدت « العوينات » وسط هذه الضمادات البيضاء غريبة الشكل ببريقها العجيب .

وحتى الساعة السابعة لم يشعر ميجريه بأى قلق أو انزعاج عليه فالجرح لم يكن خطرا في الواقع . وعندما أقبل أخيرا وجده لا يزال عاكفا على الواحه الزجاجية وبجانبه شمعته المشتعلة وموقده الغريب . وبادره الشاب قائلاً :

- لم أجد شيئاً آخر يتعلق بمسيو يعقوب . لكنى أستطعت أن أعيد ترتيب خطاب بامضاء مسيو كليمان ولا أدرى اسم المرسل إليه يتحدث فيه عن هدية يريد أن يبعث بها إلى أمير في المنفى ... وقد عثرت على كلمة « تافه » مرتين وكلمة «ملكى» مرة واحدة .

- ليس لهذا الخطاب أهمية تذكر . فهو بلا شك خاص بعمليات النصب التى كان اميل جاليه يزاولها ، فان فحص الملف الوردى أعطاه فكرة عن هذا الموضوع وتأكدت فكرته هذه على

ر محادثات تليفونية مع بعض أصحاب القصور فى مقاطعتى
برى وشير .
فبعد زواجه بثلاثة أو أربعة أعوام ، وبعد موت صهره بسنة
أو سنتين من غير شك خطر لجاليه أن يستفيد من مراسلات
«الشمس» القديمة التى ورثها عن صهره .
وكانت جريدة «الشمس» تصدر بكمية محدودة ويحررها
رجست بريجان نفسه ويوزعها على عدد محدود من المشتركين
الذين يراودهم الأمل فى أن يروا واحدا من عائلة بوربون يرقى
عرش فرنسا .
وكان ميجريه قد قلب أعداد «الشمس» ولاحظ أن نصف
صفحة كانت تخصص باستمرار لقوائم المتبرعين تارة لصالح
عائلة مسكينة أخنى عليها الدهر وأخرى لتدعيم صندوق
الدعاية الخاص بالحفلات الملكية .
وقد خطر لجاليه وهو يقلب صفحات الجريدة مرة بعد الأخرى
أن يحتال على الملكيين فقد كان يعلم عناوينهم ويعرف طبقا
للقوائم المذكورة إلى أى حد يمكن أن يطالب كلا منهم وكيف
يتلاعب باحساساتهم للحصول على ما يريد
- وهل كتبت هذه الخطابات بخط واحد ؟ .
- أجل .. وان استاذى البروفسور لوكار سوف يؤكد لك ما

أقول .. وهو خط هادىء يدل على عناية صاحبه به تصحبه سمات تدل على أن كاتبه مريض وأنه يعرف ذلك .

- طبعا .. فى هذا الكفاية يا مويرز .. يمكنك أن تستريح الآن .

وتحول ميجريه فحدق بالنظر إلى الثقبين اللذين احدثتهما الطلقتان فى الستارة .

- هل لك أن تقف لحظة فى المكان الذى كنت تقف به عندما أصابتك الرصاصة ؟ .

ووقف مويرز كما قيل له . وقال ميجريه بعد لحظة .

- الزاوية نفسها .. أطلقت الطلقتان من فوق السور ، من المكان نفسه الذى أطلقت منه الراصة الأولى .. ولكن ما هذا الصوت ؟ .

ورفع الستارة ورأى البستانى يجر مجرفه بين الأعشاب النامية والكلأ المتشابك . وسأله قائلاً :

- ماذا تفعل هنا ؟ .

- هو سيدى الذى أمرنى ...

- أن تبحث عن المفتاح ؟.

- أجـــل .

- أهو الذى أرسلك للبحث هنا ؟ .

- انه يبحث فى الحديقة هو الآخر ، والطاهية والخادمة تبحثان فى غرفة القصر .

أسدل ميجريه الستارة فى حركة مفاجئة وقال يخاطب مويرز:

- أزاهنك أيها الصغير على أن البستانى هو الذى سيجد المفتاح .

- أى مفتاح ؟ .

- لا أهمية لذلك .. سيطول شرحى لك .. ولكن فى أى ساعة أسدلت الستارة ؟ .

- بمجرد عودتى .. حوالى الواحدة والنصف .

- ألم تسمع صوت خطوات فى الممر ؟ .

- لم أهتم بذلك ... فقد كنت مستغرقاً فى عملى الذى كنت أزاوله ، فهو - وان بدا سخيفا - عمل دقيق جدا ...

- أعلم ذلك.. ولكن إلى من تحدثت عن مسيو يعقوب؟..

أعتقد أننى تحدثت عنه مع البستانى ... وسان هيلير الذى كان قد خرج للصيد وعاد لتناول غدائه ثم استبدل ثيابه وذهب ليلعب بالورق .. هل أنت واثق إن كل الخطابات المحترقة بخط مسيو كليمان ؟

- كل الثقة .

- اذن فلا أهمية لها أطلاقا ... ان الشيء الوحيد الذي يهمنا في هذه القضية هي الرسالة التي وقعها مسيو يعقوب والتي يتكلم فيها عن يوم الاثنين وعن أوراق مالية والتي يبدو منها أنه يطالب بعشرين ألف فرنك وقد تمت الجريمة يوم السبت ...

وكان يسمع المجرفة وهي تصطدم احيانا بالحجارة والصخر . لم تطلق اليونور الرصاص. وكذلك دي سان هيلير ولكن ...

وارتفع صوت البستاني في هذه اللحظة وهو يقول :

- غريبة ! .

وابتسم ميجريه في كبرياء ودنا من الستارة وقال وهو يبسط يده :

- هـــات .

- ما كنت أتوقع أن أجده هنا .

- هـــات .

وأعطاه البستاني المفتاح ... وكان مفتاحا ضخما من طراز لم يعد له وجود منذ مدة طويلة ولا يمكن أن يجد المرء مثله إلا عند تجار الآثار والعاديات . وكان مثل القفل تماما يعلوه الصدأ وبه آثار خدوش .

- يمكنك أن تقول لسيدك أنك اعطيتنى إياه .

- ولكن ....

- انصرف ...

وأعاد ميجريه اسدال الستارة وألقي بالمفتاح فوق المنضدة وقال :

- يمكننا أن نقول ، ان هذا اليوم كان مثمرا اذا ضربنا صفحا عن اذنك المصابة .. أليس كذلك يا مويرز ؟ ... فأولا مسيو يعقوب ... ثم المفتاح ... والطلقتان الناريتان والباقى .. حسنا.

وارتفع صوت مسيو تارديفون يقول :

- برقية أيها القوميسير .

وقال ميجريه بعد أن ألقي نظرة على البرقية .

- ألم أقل لك ذلك يا صاحبى ؟ اننا بدلا من أن نتقدم نرجع القهقرى .. اصغ إلى هذا ... فى الساعة الثالثة مساء ، كان هنرى جاليه موجودا مع أمه فى سان فارجو وبقى معها حتى السادسة مساء .

- اذن ؟ .

- لا شيء . لا يبقى أمامنا إلا مسيو يعقوب ولعله هو الذى أطلق الرصاص ولكنه حتى الآن مازال سرابا .

(٨)

مسيو يعقوب

- رويدك يا أورور .. لا داعى لاظهار كل هذا الحزن ..
وأجابت أورور بصوت مضطرب فقالت :

- ولكننى لا أملك نفسى يا فرانسواز فان هذه الزيارة تجعلنى أفكر فى الزيارة الأولى التى تمت منذ ثمانية أيام .. وفى تلك الرحلة ، أنت لا تفهميننى ..

- ان الذى لا أفهمه هو كيف تواتيك القدرة على بكاء رجل مثله لوثك بالعار وكذب عليك طوال حياته ، ان الحسنة الوحيدة التى أبداها نحوك هى وثيقة التأمين التى عقدها لصالحك ..

- اصمتى ...

- ثم أنه أرغمك على حياة كلها شظف وبؤس وهو يقسم أغلظ الأيمان أنه لا يربح غير ألفين من الفرنكات كل شهر . ووثيقة التأمين وحدها تثبت أنه كان يربح ضعف هذا المبلغ وأنه كان يخفى عنك ذلك . ومن يدرى ؟ لعله كان يكسب أكثر ... ان من رأيى أنه كان لذلك الرجل بيتان وصديقة وربما أولاد فى

مكان ما .

– أتوسل إليك أن تسكتى يا فرانسواز .

كان ميجريه يجلس وحده فى الصالون الصغير بفيللا سان فارجو حيث أدخلته الخادم ونسيت أن تغلق الباب خلفها وهى خارجة فتناهى إلى سمعه الحديث الذى يدور بين الأختين فى غرفة الطعام الواقعة في الممر وكان بابها مفتوحا والآخر .

كان كل شىء فى الغرفة قد أعيد إلى مكانه . ولم يملك القوميسير نفسه عندما وقعت عيناه على المنضدة الكبيرة المصنوعة من خشب القرو إلا أن يذكر أنه كانت تغطيها منذ أيام ملاءة كبيرة من الجوخ الاسود وأنه كان بوسطها تابوت تحيذ به الشموع ..

وكان الجو باردا ملبدا بالغيوم ، فقد انفجرت عاصفة بالأمس فى منتصف الليل وكانت الدلائل تدل على أن السماء لم تلق بكل ما فى جوفها .

– ولماذا أسكت ؟ هل تعتقدين أن هذه المسألة لا تغنينى .. أنا أختك وجاك على وشك أن يحصل على مركز سياسى مرموق . فماذا يكون العمل لو أن أهالى البلد يعلمون أن زوج

أخته كان نصابا .

- اذن لماذا قدمت ؟ ... انك بقيت عشرين سنة ...

- من غير أن أراك لأننى لم أشأ أن أراه هو ... عندما أعلنت لنا رغبتك فى الزواج منه لم نخف عنك رأينا أنا وجاك .. فان فتاة مثلك تدعى أورور بريجان اختها زوجة مدير لأكبر مدابغ الفوج واختها الأخرى زوجة رجل تتفتح أمامه ابواب المستقبل وقد يكون مديرا لمكتب وزير لا ينبغى أن تتزوج رجلا اسمه اميل جاليه ... لا شيء أدعى إلى التقزز من هذا الاسم ، ووكيل تجارى فوق ذلك .. اننى لأعجب كيف وافق أبى على مثل هذا الزواج . ولكننى قد أخمن فيما بيننا ما حدث فى ذلك الوقت ... لم يكن أبى فى الأيام الأخيرة يهدف إلا إلى شيء واحد هو أن تستمر جريدته فى الظهور بأى ثمن ، وكان جاليه يملك ثروة صغيرة فأقنعه بأن يستثمرها فى جريدته ، لا أخالك تجرؤين وتقولين ان هذا غير صحيح .. ولكنى لا أصدق أن أختى أنا ، وقد تربت معى التربية نفسها ونشأت معى النشأة نفسها والتى تشبه ماما فى كل شيء يقع اختيارها على مثل هذا الرجل الساقط . لا تنظرى إلى هكذا .. أردت فقط أن أجعلك تفهمين أنه لا داعى لكل هذا البكاء .. هل كنت سعيدة معه ؟ صارحينى القول ..

- لا أدرى . لا أدرى

- أعترفى أنك كنت تتوقين إلى أكثر من هذا .

- كنت أرجو دائماً أن يحاول شيئاً .. وكنت أدفعه دفعاً .

- وكأنى بك تدفعين صخرة ، ولم يسعك أخيرا إلا الاستسلام للواقع .. وما كنت تعلمين أنه قد يتركك فى الفاقة بعد موته لأنه لولا وثيقة التأمين ..

فقالت مدام جاليه :

- لقد فكر هو فيها .

- لم يكن ينقص إلا هذا .. وانى إذ أسمعك تتحدثين عنه الآن أكاد أعتقد أنك تحبينه .

- اصمتى ... قد يسمعنا القوميسير .. ينبغى أن أستقبله .

- وكيف هو ؟ ،، من الأوفق أن أرافقك وأنت فى حالتك هذه ولكن أرجو يا أورور أن تتغلبى على حزنك هذا .. قد يخطر ببال القوميسير اذا رآك هكذا أنك كنت شريكة له وأنك حزينة وأنك تخافين .

ارتد ميجريه خطوة إلى الوراء ، وما كاد يفعل حتى دخلت المراتان من الباب الموصل للغرفتين ، وكانتا على غير ما تخيلهما من خلال الحديث الذى تناهى إلى سمعه .

كانت مدام جاليه تبدو متعالية كما بدت له فى المرة الأولى

أما أختها فكانت أصغر منها بسنتين أو بثلاث خففت شعرها بالأوكسجين وصبغت وجهها بلأصباغ ويخيل لمن يراها أنها أشد جأشا وأكثر غرورا .

وسألته الأرملة فى إعياء :

- هل من جديد أيها القوميسير .. أرجو أن تجلس .. أقدم لك أختى ، وقد وصلت من أبينال .

- حيث يشتغل زوجها بالدباغة على ما أعتقد .

فقالت فرانسواز مصححة فى صوت جاف :

- بل هو صاحب مصانع للدباغة .

- لم تشترك السيدة فى تشييع الجنازة ، أليس كذلك ؟ وقد أعلنت الجرائد منذ ثلاثة أيام أنك تنتفعين بوثيقة تأمين على الحياة بمبلغ ثلثمائة ألف فرنك .

كان يتكلم فى تؤدة وهو ينظر ذات اليمين وذات الشمال فى ثقل ظاهر ، وكان قد أقبل إلى سان فارجو من غير سبب معلوم ليشم من جديد الجو الذى كان يعيش فيه القتيل ويستعيد فى ذهنه صورة له على هدى ذلك الجو .

ومع ذلك لم يكن يضيره أن يلتقى بهنرى جاليه .

وقال من غير أن ينظر إلى المرأتين :

- أود أن ألقى عليك سؤالا يا مدام جاليه .. لا ريب أن

زوجك كان يعلم أنه بزواجه منك قد قلب عائلتك عليك .

وكانت فرانسواز هي التي أجابت فقالت :

- هذا افتراء ايها القوميسير . لقد رحبنا به في الأيام الأولى ونصحه زوجي مرارا كثيرة بأن يبحث له عن وظيفة أخرى وعرض عليه مساعدته ، ولكن عندما تحققنا أنه غير طموح وأنه سيبقى طول حياته مرءوساً ضيق الأفق تجنبناه ، ولو لم نفعل لألحق بنا الضرر .

وقال ميجريه في رقة وهو يتحول إلى مدام جاليه ...

- وأنت يا سيدتي .. هل دفعته إلى تغيير وظيفته ؟ .. هل وجهت إليه لوما ؟ .

- يخيل إلى أن هذا من أموري الخاصة ، ولكن ألم يكن ذلك من حقي ؟

عندما سمعها منذ لحظات من خلال الباب تصور ميجريه امرأة هدها الحزن وجعلها أكثر إنسانية مما بدت له في أول مرة وأنها تخلت عن ترفعها المزري ولكنه لم يلبث أن رآها كما هي على حقيقتها لم تتغير .

- هل كان ابنك متفقا مع أبيه ؟ .

وتدخلت الأخت مرة أخرى فقالت :

- ان هنري سوف يصل إلى شيء حتماً فهو من آل بريجان .

فعلى الرغم من أنه يشبه أباه طبيعيا فقد أحسن صنعا بهربه من هذا الجو عندما سمح له سنه بذلك .. وقد عاد إلى عمله هذا الصباح على الرغم من أنه عانى أمس نوبة كبدية حادة .

نظر ميجريه إلى المنضدة وحاول أن يضع اميل جاليه فى مكان ما من هذا «الصالون» .

- أكنت تريد أن تقول لى شيئاً أيها القوميسير ؟ .

- لا .. سأنصرف الآن يا سيدتى .. وأعتذر لازعاجى لكما ومع ذلك أرجو أن تسمحى بسؤال أخير : ألديك صورة لزوجك وهو فى الهند الصينية ؟ . لقد أقام فيها مدة قبل أن يتزوج على ما أعتقد .

- ليس لدى ولا صورة واحدة ، فان زوجى لم يحدثنى عن هذه الحقبة من حياته قط .

- ألا تعرفين إذا كان قد حصل على شهادات عالية ؟ .

- كل ما أعرفه أنه كان مثقفاً جداً . وأنه كان يناقش أبى فى المؤلفات اللاتينية .

- ولكنك لا تعرفين فى أى مدرسة درس علومه . . .

- كل ما أعرف أنه من مواليد مدينة نانت .

- شكراً لك وألتمس معذرة مرة أخرى .

وتناول قبعته وسار إلى الممر وهو يرتد إلى الخلف بدون أن

يتمكن من وصف القلق الغريب الذى يشعر به فى كل مرة يضع فيها قدمه في هذا البيت .

وقالت فرانسواز فى لهجة لا تخلو من قحة .

- أرجو ان لا تلقى باسمى للجرائد للتشهير به أيها القوميسير فأنت تعرف أن زوجى مستشار عام ، له نفوذ كبير فى الدوائر الحكومية وحيث أنك موظف ...

ولم يجد القدرة ليرد عليها واكتفى بأن نظر إلى جبينها مليا ثم حياهما أخيراً وهو يتنهد .

وبينما هو يجتاز الحديقة الصغيرة تتبعه الخادم التى بعينيها حول ... أخذ يقول فى صوت حالم :

- يا لجاليه المسكين ... !

* * *

ومر بادارة الأمن العام مرور الكرام ليلتقط الرسائل التى وصلت باسمه ، ولم يكن فيها شيء يتعلق بالقضية ، وعندما خرج قصد تاجر الأسلحة الذى فحص الرصاصة التى استخرجت من رأس الميت وكذلك الرصاصتين اللتين أطلقتا على مويرز .

- هل أنتهيت من المعاينة ؟

- انتهيت منها الآن فقط ، وكنت على وشك أن أكتب التقرير لقد أطلقت الرصاصات الثلاث من مسدس واحد وليس

هناك شك فى ذلك . وهو مسدس أوتوماتيكى دقيق الصنع شائع الاستعمال من صنع فابريقة هرستال الاهلية .

عبس ميجريه وودع تاجر الأسلحة واستقل سيارة أجرة وقال للسائق :

- شارع كلينيانكور .

- أى رقم ؟ .

- انزلنى عند أى ناصية من ناصيتيه .

وحاول طول الطريق أن يطرد من ذهنه ذكرى سان فارجو اللزجة ، وإن يفلت من ملازمة حديث الأختين حتى لا يفحص إلا الفروض المحسوسة للقضية .

ولكنه كان لا يكاد يربط بين بعض النظريات حتى يرى فرانسواز زوجة المستشار العام ... فهى لم تنس أن تقول له ذلك وقد اسرعت إلى «فيللا» المارجريت بمجرد أن علمت أن مدام جاليه قد أصبحت غنية وإنما تملك ثلثمائة ألف فرنك .

« كان سيلحق الضرر بالعائلة » .

لقد دفعوا باميل جاليه فى بداية الزواج ، وحاولوا أن يقنعوه بأن يشرف آل بريجان كالأصهار الآخرين .

وكيل تجارى يبيع الهدايا المصنوعة من المعدن .

وقال ميجريه يحدث نفسه وقد أخذته الدهشة والتردد إزاء

سنات القتيل المتعددة .

وقد وجد القدرة على أن يوقع على وثيقة التأمين على حياته وأن يدفع القسط خمس سنوات .. أكان يحب زوجته التى لامته وعتبت عليه أكثر من مرة ضعة نسبه .

أسرة غريبة ... وحياة غريبة ، أفلم تمر بميجريه لحظة أحس فيها بأن مدام جاليه كانت تحب زوجها محبة حقيقية ! .

لقد أحس بذلك من خلال الباب .. ليكن .. ولكنها عندما أقبلت ووقفت أمامه كان كل شيء فيها قد تغير ، وعادت كما كانت بورجوازية صغيرة مغرورة بغيضة إلى النفس كما كانت عندما استقبلته أول مرة كأختها فرانسواز .

وهذا الهنرى ذو السحنة المقلوبة وهو مازال صبياً بعد ونظرته المتشككة الرزينة والذى لم يتزوج وهو فى الثانية والعشرين من اليونور خوفا من أن يفقد الايراد الذى تحصل عليه كتعويض عما أصاب زوجها الأول ، لقد أصيب بأزمة كبدية كبيرة ولكنه مع ذلك عاد إلى عمله .

وتساقط المطر ، فأوقف السائق سيارته على جانب الطريق ليرفع غطاءها .

– والرصاصات الثلاث انطلقت من مسدس واحد ويبدو أن شخصا واحدا هو الذى أطلقها . ومع ذلك فما استطاع هنرى

ولا اليونور بورسانج ولا دى سان هيلير اطلاق الطلقتين الأخيرتين .

وكذلك لم يستطع أن يطلقهما متشرد ما .. فالمتشردون لا يقتلون حبا فى القتل .. إنهم يسرقون ولم يسرق من جاليه شىء .

وهكذا تخبط به التحقيق وراح يدور ويدور حول سحنة القتيل الشاحبة الحزينة حتي غذت مملة ، ودخل ميجريه أول بيت بشارع كلينيانكور وقال بصوت مختنق :

- هل تعرف مسيو يعقوب ؟ .

- ماذا يصنع ؟ ..

- لا أدرى ... كل ما أعرف هو أنه يتسلم خطابات بهذا الإسم ...

وكان المطر قد أخذ فى الإنهمار ، ولكن القوميسير اغتبط لذلك فان جو الشارع المزدحم بحلاته الضقية وبيوته الفقيرة كان يتلاءم مع حالته الذهنية .

وهذه التنقلات من بيت إلى بيت كان فى الإمكان أن يكلف مرءوسا بها ولكنه كره أن يشرك زميلا فى هذه القضية ولا يدرى لأى سبب .

- مسيو يعقوب ؟ .

لا يوجد هنا أحد بهذا الإسم ... ابحث فى الناحية الأخرى ففيها يهود .

وكان قد أنتقل إلى مائة بيت وألقى مئات الأسئلة من خلال أبواب وشبابيك كثيرة عندما حدقت إليه امرأة ضخمة ، ذات شعر كالألياف ، فى إرتياب وسألته قائلة :

- وماذا تريد من مسيو يعقوب ؟ .. ألست من البوليس ؟.

- من البوليس القضائى . أهو فى مسكنه ؟ .

- ما أظنك تريد أن يكون فى مسكنه فى مثل هذه الساعة.

- أين يمكن أن أجده ؟ .

- فى مكانه طبعا .. عند ملتقى شارع كلينيكانور بشارع روشيشوار .. ولكن لعلك لا تريد به ضرا فهو رجل عجوز لم يفكر قط فى ايذاء أحد .. أليست معه رخصة ؟ .

- هل تأتيه رسائل كثيرة ؟ .

قطبت البوابة وجهها وقالت :

- اذن فهذا هو السبب ... كنت أشك فى أنها مسألة غير سليمة .. لاشك أنك تعلم مثلى أنه كانت تأتيه رسالة كل شهرين أو ثلاثة .

- موصى عليها ؟ .

- لا .. بل رسالة عادية تكاد تكون « ربطة » صغيرة .

- فيها أوراق مالية .. أليس كذلك ؟ .

فأجابت في حدة :

- لا أدرى .

- بل تدرين .. فأنت قد تحسست الظروف ... وخطر لك أنت أيضاً أنها أوراق مالية .

- وما الضير في ذلك ... إن مسيو يعقوب لا يسرقها على كل حال ...

- وأين غرفته ؟ .

فوق السطح ... وهو يجد مشقة كبيرة في الصعود إليها كل يوم على عكازية .

- ألم يأت أحد للسؤال عنه قط ؟ .

- بل جاء رجل ذو لحية قصيرة كان يبدو وكأنه قسيس منذ ثلاث سنوات تقريباً .. وقد أجبته بما أجبتك به .

- أكان مسيو يعقوب قد تسلم رسالة في ذلك اليوم ؟ .

- كانت قد جاءته رسالة ..

- أكان ذلك الرجل يرتدى « سترة » ؟ .

- كان يرتدى حلة سوداء كالقسيس تماما .

- ألا يأتى أحد لزيارة مسيو يعقوب الآن ؟ .

- لا أحد غير ابنته وهي تقوم بالخدمة في بيت بشارع

ليبيك وعلى وشك الوضع .

- وما هي مهنته ؟ .

- كيف هذا ؟ . أفلا تعرف ؟ . وأنت من رجال البوليس؟. أو لعلك تسخر بى .. ان مسيو يعقوب هو أقدم بائع صحف فى هذه الناحية وهو معروف من الجميع .

* * *

توقف ميجريه عند ملتقى شارع كلينيانكور بشارع روشيشفور وهناك رأى بارا اسمه « فى مغيب الشمس» يقف بجانبه تاجر سودانى ولوز مقشور لاشك أنه يباع عنده أبو فروة فى الشتاء .

وفى الناحية المقابلة أبصر رجلا عجوزاً جالساً فوق «طاولة» صغيرة ولا يفتأ يصيح على بضاعته من وقت لآخر قائلاً :

- انتران .. ليبرتيه .. بريس .. بارى سوار ... انتران .

ورأى أمام «الفترينة» عكازين . وكان الرجل يلبس فى إحدى قدميه حذاء عادياً وفى الآخر خفا ممسوحا .

وتذكر القوميسير بضع كلمات من الخطاب الذى أعاد مويرز ترتيب وضعه . عشرين ألف فرنك . أوراقاً مالية . يوم الإثنين . وفجأة أنحنى فوق الأعرج وسأله :

- هل معك الرسالة الأخيرة ؟ .

رفع مسيو يعقوب رأسه وأطبق حاجبيه المحمرين مرارا ثم قال أخيراً وهو يعطى مشتريا جريدة ويعطيه الباقى من صندوق خشب« بجواره :

- من أنت ؟ ...

- بوليس ... دعنا نتحدث في هدوء وإلا اضطررت إلى اقتيادك .. فان موقفك فى غاية السوء .

- وبعـد ؟ ..

- هل لديك آلة كاتبة ؟ .

ضحك العجوز في سخرية وبصق من فمه قطعة من سيجارة كان يمضغها بين أسنانه وقال :

- لا تحاول الايقاع بى فأنت تعرف تماما أنه لا شأن لى بهذه المسألة .. ما كان لى أن أقبلها فلم أخرج منها بشىء يذكر .

- كـــم ؟ ..

- كانت تنقدنى خمسة فرنكات عن كل رسالة ... أليس مبلغا تافهاً ؟ .

- هو مبلغ تافه حقا ولكنه قد يؤدى بكم جميعا إلى محكمة الجنايات .

- لا ... اذن فقد كانت أوراقاً مالية كما خطر لي .. لم

أكن واثقاً من ذلك .. كنت أتحسس الظروف وكنت أجد ملمسها ناعماً .. وقد حاولت أن أرى من خلالها ولكنها كانت سميكة

– ماذا كنت تفعل بها ؟ .

– كنت أحضرها معي هنا ... ولم أكن بحاجة إلى إخطارها فقد كانت تأتي في حوالي الخامسة وتأخذ مني جريدة وتلقي بالفرنكات الخمسة في الصندوق ثم تدس الظرف في حقيبتها .

– أهي سمراء قصيرة ؟ .

– لا ... بل هي شقراء طويلة يميل شعرها إلى اللون الأحمر رشيقة تأتي من ناحية المترو .

– متى طلبت منك القيام بهذه الخدمة أول مرة ؟ .

– منذ ثلاث سنوات تقريبا .. كانت ابنتي قد وضعت طفلها الأول وعهدت به إلى مرضع في فيلتنيف سان جورج .. نعم .. كان ذلك منذ ثلاث سنوات ... وكان الوقت متأخراً .. وكنت قد جمعت جرائدي وهممت بأن أحملها فوق ظهري عندما اقتربت وسألتني ان كان لي مسكن وان كان باستطاعتي أن أقدم لها مساعدة .

– وذكرت لي أنه ما علي إلا أن أتسلم خطابات باسمي

وأن احضرها معى هنا من غير أن افضها .

- وهل أنت الذى حددت الفرنكات الخمسة ؟ .

- بل هى .. وقد قلت لها مازحا ان المبلغ زهيد إذا قيس بثمن النبيذ الأحمر فما كان منها إلا أن سارت نحو تاجر السودانى وهو رجل لا ضمير له يقدم على كل شىء دون مقابل يذكر فلم يسعنى إلا القبول .

- ألا تعرف أين تقيم ؟ .

غمز مسيو يعقوب وقال :

- لو وضعت يدك عليها فانك من الماكرين برغم كونك من البوليس. لقد حاول بعضهم معرفة ذلك فى الأيام الأولى.. وقد ذكرت له البوابة اننى أبيع جرائدى فى هذا المكان وعندما وصفته لى حسبت أنه والد السيدة الشابة . وبدا بأن راح يحوم حولى من غير أن يحدثنى .. وكان يفعل ذلك فى الأيام التى تأتينى فيها الرسالة .. ويختفى هناك خلف محل الفاكهة ثم يسرع خلفها . ولكنه لم يفلح فى اللحاق بها وانتهى بأن جاءنى آخر الأمر وعرض على ألف فرنك لكى أذكر له عنوان السيدة ولم يشأ أن يصدق أننى لا أعرف مثله . ويظهر أنها جعلته يجرى خلفها من مكان إلى آخر وأن يركب خلفها عددا كبيرا من عربات الترام والأوتوبيس قبل أن تتخلص منه أخيراً أمام بيت له بابان .

وكان رجلا مضحكاً .. تحققت فيما بعد أنه ليس أباها .. وحاول أن يتعقبها بعد ذلك مرة أو مرتين وقد حسبت أنه ينبغى أن أنذر «عميلتى» والظاهر أنها جعلته يقتفى أثرها وقتا طويلا دون طائل لانه لم يعد بعد ذلك .. هل تعرف بماذا كافأتنى على ذلك بدلا من الألف فرنك التى عرضها على الرجل .. بعشرين فرنكا فقط .. وقد اضطررت إلى الإدعاء بأننى لا أملك نقودا صغيرة « فكة » وإلا لأعطتنى عشرة فرنكات فقط . وقد انصرفت وهى تنطق بكلمات نابية لم أفهمها .. هى امرأة جميلة ولكنها بخيلة ! ...

– متى جاءت آخر رسالة ؟ .

– منذ ثلاثة شهور .. ولكن أرجو أن تقف جانبا بسبب «الزبائن» الذين لا يرون الجرائد . أهذا كل ما تريد ؟ ألا ترى معى أننى رجل طيب واننى لم أحاول خداعك .

ألقى ميجريه عشرين فرنكا فى الصندوق الخشبى وحياه باشارة من يده ثم انصرف وقد ترك الخيال لأحلامه .

وبينما هو يمر أمام محطة المترو قطب وجهه عندما فكر فى اليونور بورسانج وهى تبتعد فى هدوء وفى يدها ظرف يحتوى على آلاف الفرنكات تاركة للعجوز خمسة فرنكات فقط وتتنقل من ترام إلى آخر ومن أوتوبيس إلى آخر ثم تدخل بيتا له بابان

قبل أن تعود إلى بيتها .

ولكن ما علاقة كل ذلك باميل جاليه الذى خلع «سترته» وارتقى قمة سور ارتفاعه ثلاثة أمتار .

إن آخر أمل بناه ميجريه على مسيو يعقوب قد تبخر . فلم يكن هناك مسيو يعقوب ... !

أفلا ينبغى الاعتقاد الآن أن هناك بدلا من مسيو يعقوب صديقين هما هنرى جاليه والبيونور بورسانج عرفا سر الأب وأخذا يستغلانه بتهديده .

اليونور وهنرى اللذان لم يقتلا :

وكذلك سان هيلير لم يقتل هو الآخر، على الرغم من أقواله المتضاربة وعلى الرغم من الباب الحديدى المفتوح ومن المفتاح الذى ألقاه هو نفسه فى طريق العشب ثم عثر عليه البستانى بعد أن هدده القوميسير بأنه سيفعل المستحيل للعثور عليه ..

ولكن كل هذا لا يمنع أن رصاصتين أطلقتا على مويرز وأن أميل جاليه الذى قالت أخت زوجته أن مركزه سوف يضر العائلة قد قتل .

وفى سان فارجو كانوا يجدون السلوى والعزاء بالقاء اللوم عليه ويذكرون ضعة نسبه ويعتبرون موته كسبا قدره ثلثمائة الف فرنك .

أما هنرى فقد عاد فى الصباح نفسه إلى عمله بمصرف سوفرينو إذ كان لابد له من العمل فهو لا يستطيع العيش فى الريف مع اليونور إلا إذا جمع خمسمائة ألف فرنك وهو لم يجمع حتى الآن إلا مائة ألف فرنك فقط .

وأخيراً اليونور التى رأحت ترقب فى سانسر حركات ميجريه وسكناته وهى أشد ما تكون هدوءا ، بل أهدأ مما كانت عليه وهى تستبدل بالظروف المحتوية على آلاف الفرنكات خمسة فرنكات فقط ثم تأتى إليه بعد ذلك بعينين طاهرتين وجبين ناصع لتسرد عليه قصة حياتها .

وسان هيلير كان يلعب بالورق عند موثق العقود .

لم يكن ينقصه إلا اميل جاليه نفسه .. وهو الآن ، بعد أن اطاحت الطلقة النارية بنصف وجهه وبعد أن مزق الطبيب الشرعى جسده بمشرطه حبيس فى تابوت بقلبه المطعون وبعينيه الرماديتين اللتين لم يفكر أحد فى اطباق جفنيهما .

وكان ميجريه قد صادفته قضايا معقدة كثيرة ولكنه لم يتخبط فى حياته كما تخبط فى هذه القضية فكلما تناول نظرية وقتلها فحصا وتحقيقا وجدها لا تطابق ما لديه من الحقائق ، وإذا كان مسيو يعقوب قد ذكر له أن المرأة طويلة القامة ذات شعر أشقر يميل إلى اللون الأحمر فلم يكن ذلك دليلا على أنها

هى اليونور بورسانج وحتى إذا صح وكانت هى فلم يكن هناك ما يدل على أن هنرى كان شريكا لها . وأخذ يقول :

– من السهل أن أقطع الشك باليقين بأن أعرض صورتها على العجوز .

وعرج فى طريقه إلى شارع تورين حيث كان واثقا من أنه سيجد صورة لاليونور بورسانج فى مسكنها .

وقالت له البوابة :

– إن مدام بورسانج متغيبة ولكن مسيو هنرى موجود .

وكان النهار قد بدأ يولى . وكان السلم ضيقا وفتح ميجريه الباب الذى دلته عليه البوابة بدون أن يطرقه .

كان هنرى جاليه منحنيا فوق المنضدة يربط « ربطة » كبيرة فجفل ولكنه تمكن من أن يتمالك نفسه عندما عرف القوميسير.

ومع ذلك فانه لم يستطع النطق ، ولا ريب أن اسنانه آلمته لفرط ضغطه عليها . وكان التغيير الذى طرأ عليه فى بحر اسبوع مخيفا فقد غارت وجنتاه وبرزت عظمتاهما واصفر لونه بشكل ملحوظ .

وقال ميجريه فى قسوة مقصودة :

– قيل لى انه أصابتك أمس نوبة كبدية شديدة .. ابتعد .

كان يبدو من شكل « الربطة » أنها تضم آلة كاتبة . ونزع القوميسير الأوراق عنها وأخذ من جيبه ورقة بيضاء كتب عليها بضع كلمات ثم وضعها فى حافظته .

وقطع صوت الآلة الصمت الذى خيم على الغرفة لحظة ، وكانت قطع الموبيليا تغطيها أغطية من القماش كما غطيت الواح النوافذ الزجاجية بالورق مما يدل على أن صاحبة المسكن فى أجازة .

واتكأ هنرى على «طاولة» صغيرة وأطرق وقد توترت أعصابه .

وبدا ميجريه ثقيلا ، غير رحيم وهو يتابع مهمته فراح يفتح الأدراج ويبعثر محتوياتها حتى عثر أخيراً على بغيته : صورة اليونور بورسانج .

وعندما هم بالإنصراف أخيراً وقد ألقى بقبعته إلى الخلف وأمسك الصورة بيده نظر إلى الشاب من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه وسأل :

– ألا تريد أن تقول لى شيئاً ؟ .

وابتلع هنرى ريقه وقال :

– لا شىء .

* * *

حرص ميجريه على ألا يصل إلى شارع كلينيانكور حيث كان مسيو يعقوب لا يزال يباشر عمله إلا بعد ساعة .

أكان يريد دليلا أكثر من هذا ؟ .. فقبل أن يبلغ مكان العجوز أبصر وجها طويلا أصفر خلف زجاج المشرب تبين فيه وجه هنري جاليه .

وبعد لحظة قال مسيو يعقوب مؤكداً :

- إنها هي ... ليس هناك إي شك ... أن أمرها مفروغ منه. وغادره ميجريه من غير أن ينطق والقى نظرة محنقة نحو المشرب . كان في مقدوره أن يدخل ويوقع الرعب في قلب الشاب ويتسبب له في أزمة كبدية جديدة بأن يلقى يده فوق كتفه فقط .

« ولكنهما مع ذلك لم يقتلاه » .

وبعد نصف ساعة دلف إلى مكاتب إدارة الأمن العام وقصد إلى مكتبه من غير أن يلقى بالتحية إلى أحد وهناك وجد في انتظاره رسالة من مأمور الضرائب غير المباشرة بنيفر.

(٩)

فرحة الزواج

« إذا شئت أن تأتى خفية إلى مسكنى الكائن برقم ١٧ بشارع كروز بنيفر فسوف أذكر لك أشياء كثيرة مثيرة تتعلق باميل جاليه »

كان ميجريه فى شارع كروز ، وكان يجلس أمامه فى «صالون» أحمر وأسود مأمور الضرائب غير المباشرة الذى استقبله هو نفسه وأدخله مسكنه وهو يأتى بحركات غريبة كما لو كان يشترك فى مؤامرة .

لقد أبعدت الخادم .. وأظنك تفهم أن هذا أفضل .. أما الذين رأوك وأنت تدخل فسوف اذكر لهم انك ابن عمى المقيم فى بوكير .

وكانت تصدر منه غمزات متتابعة يوجهها لميجريه وهو يضغط على كل كلمة من كلماته ، وكان شكله يدعو إلى الضحك فبدلا من أن يطبق عينا واحدة كما هو المتبع فى مثل هذه الحالة كان يطبق عينيه فى وقت واحد وبسرعة بحيث بدت

هذه الحركة كأنها لازمة عصبية تلازمه ولا يستطيع منها مهربا .

- أظنك كنت مهاجرا أنت أيضا ؟ . كلا .. ظننت ذلك .. لو انك كنت مهاجرا لفهمت قصتى أكثر ..

وراح حاجباه ينخفضان ويرتفعان فى غير انقطاع على حين أخذ صوته يكسوه الغموض شيئاً فشيئاً وملامحه تبدو أكثر خبثا وخوفا فى الوقت نفسه واستطرد يقول :

- فقد قضيت عشر سنوات فى الهند الصينية فى ذلك الوقت الذى لم تكن فيه لمدينة سايجون شوارع كبيرة ممهدة كشوارع باريس ... وهناك عرفت جاليه .

ثم أن طعنة الخنجر هى التى أرشدتنى إلى الحقيقة . وسوف تفهم ما أقصد بعد قليل . أراهن أنك لم تهتد إلى شىء . لن تجد شيئاً لأنها قصة لا يمكن أن تفهمها ولا أن يفهمها إلا مهاجر فقط ... ومهاجر كان شاهد عيان مثلى .

وكان ميجريه قد وضع المأمور فى المكان اللائق به .. كان يعرف أنه من ذلك النوع من الرجال الذين لابد من احتمالهم فى صبر وجلد من غير مقاطعتهم ، وتأييدهم على ما يقولون حرصا على اكتساب الوقت .

- كان جاليه هذا ابن حظ حقا . كان يعمل عند موثق للعقود

شق طريقه فيما بعد وأصبح عضوا فى مجلس الشيوخ .. وكان رياضيا مسعورا .. وقد وضع نصب عينيه أن يكون منا فريقا للعب كرة القدم بالقوة وعندما لم يجد فريقا آخر ننازله انتهى به الأمر عند هذا الحد . وكان يحب النساء حبا فاق حبه لكرة القدم ، والفرص في الهند الصينية كثيرة .. لقد كان شابا مرحا وقد أتى أعمالاً غريبة حقاً .. هل تسمح ؟ ...

وسار إلى الباب فى خطوات متلصصة وفتحه فجأة ليتأكد من أن أحداً لا يقف خلفه .

- أرأيت ! .. لقد اشتط في دعاباته ذات مرة .. وأقول في غير فخر انني اشتركت معه فى تلك الدعابة على الرغم من انني لم اكن متحمسا لها ... فقد جاء أحد المزارعين بمائتين أو ثلثمائة من العمال من الملايو كان بينهم بعض النساء والاطفال، ومن ضمنهم مخلوقة صغيرة كانت تبدو كأنها صبت من العنبر ، ولا يحضرنى اسمها . وأذكر أننى كنت قد فرغت توا من قصة للكاتب ستيفنسون عن أهالى شاطىء المحيط الهادى وعن رجل أبيض أراد أن يمتلك امرأة بيضاء فعقد حفلة زواج صورية . وتحمس صاحبنا اميل عندما ذكرت له القصة ، وفى ذلك الوقت كان أهالى الملايو لا يعرفون القراءة وخاصة الفقراء الذين كانوا يساقون كالأغنام ، وبناء على ذلك ذهب جاليه

إلى والد الفتاة وطلب يدها منه وأهدى حماه ثيابا مضحكة وجمع موكبا أقبل إلى كوخ صغير أعددناه على عجل . وقد مات الزميل الذى قام بدور القسيس ولكن إذا شئت فسوف يمكننا الإهتداء إلى غيره ممن اشتركوا فى هذه الدعابة لأن جاليه كان رجلا يحب الدعابة إلى درجة العبادة ... لم يهمل أقل التفاصيل ليبدو الأمر وكأنه زواج حقيقى . وراحت الخطب تتوالى الواحدة بعد الأخرى ، وكان عقد الزواج الذى قدم إلى الفتاة يدعو إلى الضحك من أول كلمة فيه حتى آخر كلمة . كان الأمر كله دعابة كبيرة خدعوا بها الأب وابنته .. الشهود والباقون .

سكت مأمور الضرائب لحظة ، كانت كافية لكى تضفى على وجهه طابع الجد ثم اختتم حديثه قائلاً :

– هذا هو جاليه .. وقد عاش معها كما يعيش الزوج مع زوجته ثلاثة أو أربعة شهور ثم عاد إلى فرنسا .. تاركا زوجته الزائفة طبعا . كنا شبابا ، والا ما أقدمنا على مثل هذا العمل .. وبمثل هذه الصورة لأن أهالى الملايو قوم لا يرحمون . وأنت لا تعرفهم أيها القوميسير .. انتظرت الفتاة عودة زوجها كثيرا .. ولا أعلم ما حدث لها فيما بعد ولكنى بعد ذلك بسنوات التقيت بها وقد شاخت في بؤرة من بؤر الفساد فى أحياء

سايجون .. وعندما قرأت اسم اميل جاليه فى جريدة نيفر ...
وأرجو أن تلاحظ أننى لم أره منذ خمسة وعشرين عاما ... بل
لم أسمع عنه كلمة واحدة . غير أن طعنة الخنجر جعلتنى أفطن
إلى الحقيقة .. أفلا ترى معى ذلك وهلا أدركت الان ؟ . هو
انتقام ما فى ذلك شك ، وان أهالى الملايو ليطوفون بالأرض
فى سبيل الانتقام لأنفسهم .. والطعن بالخنجر من عاداتهم .
لنفرض الآن أن أخا ... أو ابنا للفتاة .. أكثر تمدينا من بنى
جنسه بدأ باستخدام المسدس ثم لم يلبث أن غلبته غريزته .

اصغى ميجريه فى إكتئاب إلى كل هذا الحديث بأذن غير
واعية .. كان يعرف أن لا جدوى من مقاطعة محدثه .. وان فى
القضايا الجنائية فى العادة مئات الشهود من نوع مأمور
الضرائب وإذا لم يكن قد تقدم فى هذه القضية أحد غيره فذلك
يرجع إلى أن جرائد باريس نشرت نبأ الجريمة فى بضعة سطور
فى مكان غير ظاهر .

- أرأيت أيها القوميسير .. ما كان فى مقدورك أن تخمن؟
.. أليس كذلك ؟ .. وقد آثرت أن أطلب منك الحضور إلى
مسكنى لأن القاتل لو عرف أننى تكلمت ...

- ذكرت لى أن جاليه كان مغرما بلعبة كرة القدم .

- كان مغرما بها إلى حد الجنون .. وكان ابن حظ حقا ...
كان زميلا غريبا لم أر أغرب منه فى حياتى ... كان جديرا بأن يقص عليك مئات القصص المضحكة طوال السهرة دون أن تمل منه .

- ولماذا غادر الهند الصينية ؟ .

- كان يقول ان لديه فكرة ، وأنه لم يخلق ليعيش البقية الباقية من عمره بدخل يقل عن مائة ألف فرنك .. كان ذلك قبل الحرب .. مائة ألف فرنك من الدخل ... أرأيت هذا .. كنا نسخر منه ولكنه على الرغم من سخريتنا كان يظل محتفظاً بهدوئه وجأشه كما لو كان ملكا ... وكان يكتفى بأن يقول مزمجراً :

- سوف ترون ... سوف ترون ! ..

أما هو فلم يحصل على مائة الفرنك طبعا ، أليس كذلك ؟
وأما أنا فهى الحمى التى طردتنى من آسيا .. ومازلت حتى الآن عرضة لنوباتى .. ألا تتناول شيئاً أيها القوميسير ؟ . سوف أخدمك أنا نفسيى لأننى أرسلت الخادم إلى المدينة وسوف تقضى بها طوال اليوم .

- لا .. لن يتناول ميجريه شيئاً ثم أنه لا يحتمل غمزات مأمور الضرائب غير المباشرة الساذجة التى يأتى بها وهو يروى

قصة ذلك المنتقم من أهالى الملايو .

وشكر محدثه وهو يبتسم ابتسامة شاحبة مؤدبة .

وبعد ساعتين كان يهبط من القطار فى محطة تراسى سانسر حيث أصبحت له عاداته . وبينما هو يقطع الطريق المؤدى إلى فندق لالوار كان يغمغم قائلاً :

– لنفرض أننا الآن فى يوم السبت ٢٥ من يونية .. واننى أنا اميل جاليه .. الحر خانق وكبدى يؤلمنى .. وفى جيبى خطاب من مسيو يعقوب يهددنى فيه بأن يفضح امرى للبوليس ويطلعه على كل شىء إذا لم أرسل إليه يوم الاثنين اوراقا مالية بعشرين الف فرنك .. ان الملكيين لا يقدمون عشرين ألف فرنك دفعة واحدة . ومتوسط المبالغ التى يمكن أن أحصل عليها منهم تتردد بين مائتين وستمائة فرنك .. ومن النادر أن أحصل منهم على ألف فرنك .. وفى فندق لالوار أطلب غرفة تطل على الفناء. ولكن لماذا على الفناء؟. الأنى أخشى أن أقتل؟ . ومن هو الذى أخشى أن يقتلنى ...

كان ميجريه يسير مطرقا فى خطوات متئدة ويقوم بمجهودات كبيرة ليتقمص شخصية القتيل .

– هل أعرف حقا من هو مسيو يعقوب ؟ . منذ ثلاث سنوات وهو يبتز منى النقود .. منذ ثلاث سنوات وأنا أدفع ..

... لقد سألت بائع الجرائد بشارع كلينيانكور .. وتتبعت امرأة شقراء فقدت أثرها أمام عمارة ذات بابين .. غير ممكن أن أشك في هنرى الذى أجهل صلته بصديقته .. كما أنى لا أعلم أنه جمع مائة ألف فرنك وأنه لابد له من خمسمائة ألف ليستطيع أن يعيش فى الجنوب .. مسيو يعقوب يبقى اذن كيانا مخيفاً يهدد حياتى خلف شخصية بائع الجرائد العجوز .

وأتى بحركة من يده أشبه بتلك الحركة التى تصدر من المدرس وهو يمسح بالممسحة مسألة فوق السبورة السوداء .

ود لو أن ينسى كل هذه الافتراضات وأن يبدأ التحقيق من جديد .

كان اميل جاليه ابن حظ .. كان فتى مرحا أرغم زملاءه على تكوين فريق للعب كرة القدم .

ومر أمام الفندق من غير أن يدخل . وطرق الباب العمومى لقصر دى سان هيلير . وكان المسيو تارديفون يقف بعتبة الفندق فنظر فى إستهجان إلى ميجريه الذى مر أمامه من غير أن يلقى عليه التحية .

واضطر القوميسير أن ينتظر طويلا أمام الباب ... وأخيراً أقبل خادم وسأله ميجريه على الفور ؟ .

– متى جئت إلى القصر للعمل فيه ؟ .

- منذ سنة .. ولكن ألا تريد أن ترى مسيو دى سان هيلير؟

وأطل هذا الأخير من احدى نوافذ الدور الأرضى وأشار إلى مينجريه مرحبا وقال :

- أرأيت .. لقد وجدنا المفتاح أخيراً .. ألا تدخل لحظة ؟ . والتحقيق ..

- متى عمل هذا البستانى فى خدمتك ؟ .

- منذ ثلاث أو أربع سنوات .. ألا تدخل ؟

دهش صاحب القصر ازاء التغيير الذى أصاب ميجريه فقد بدت ملامحه أشد قسوة وعبست أساريره وكسبت نظرته تعبيرا هو خليط من التعب والخبث .

- ألا تتناول شيئاً ؟ .

ماذا جرى للبستانى السابق ؟ .

- اشترى بارا على بعد كيلو متر .. على طريق سان تيبو .. إنه وغد جمع مبلغا من المال وهو فى خدمتى ثم استقر لحسابه.

- شكراً لك .

- أمنصرف أنت ؟ .

- سوف أعود .

قال هذا فى غير تفكير وهو مشغول البال وانصرف فى طريق سان تيبو .

كانت حانة البستاني السابق على مقربة من السد المقام عند القنال الجانبي لنهر اللوار . وكانت تزخر بالبحارة .

- سؤال واحد من فضلك .. خاص بجريمة سانسر .. أتذكر أنك رأيت اميل جاليه عند مخدومك السابق قبل أن تترك خدمته ؟ .

- هل تقصد مسيو كليمان ؟ .. كنا ندعوه هكذا .. لقد رأيته طبعا .

- كثيراً ؟ .

- لا أستطيع أن أجزم .. كل ستة شهور .

- متى بدأت زياراته الأولى ؟ .

- منذ عشر سنوات على الأقل .. وربما خمسة عشر عاماً هل لك فى كأس صغير .

- شكرا ... هل تشاجرا أحياناً ؟ .

- أحيانا .. بل قل كثيرا ... كانا يتشاجران فى كل مرة تقريبا وقد رأيتهما يتشاجران مرارا كالسوقة .

وقال ميجريه يحدث نفسه فيما بعد وهو يسير نحو الفندق:

- ومع ذلك فان دى سان هيلير لم يقتله ... فلم يكن فى مقدوره أن يطلق الرصاص مرتين على مويرز إذ كان عند موثق العقود .. ولكن لماذا فتح الباب الحديدى فى ليلة الجريمة ؟ .

وأبصر اليونور على مقربة من الكنيسة ولكنه حول رأسه ليتحاشاها . كان راغبا عن التحدث إليها أكثر من أي شخص آخر .

وسمعها تجرى خلفه ورآها تلحق به بثوبها الرمادى وشعرها المصقول :

– معذرة أيها القوميسير .

وتحول إليها وحدق فى عينيها محنقا بطريقة جعلتها تقف مبهورة الأنفاس وقال :

– ماذا تريدين ؟ .

– أردت فقط أن أعرف ...

– لا شيء .. لا أعرف شيئاً على الإطلاق .

وابتعد من غير أن يحييها ويداه معقودتان خلف ظهره .

« لنفرض أن الغرفة التى تؤدى إلى الفناء كانت شاغرة .. أكان يموت مع ذلك ؟ .

وكان هناك طفل يلعب بالكرة تعثر بين ساقيه فأخذه بين يديه ووضعه على بعد متر من غير أن ينظر إليه .

– لم يكن يملك عشرين الف فرنك على كل حال .. وما كان فى مقدوره أن يحصل عليها ليرسلها يوم الاثنين . ولو أنه استطاع الحصول عليها ما تسلق السور وما أطلق عليه الرصاص،

ولبقى على قيد الحياة ! .

ومسح جبينه على الرغم من أن الحر كان أكثر احتمالا عنه فى الأسبوع السابق . كان يحس احساسا مقبضا بأنه على قيد شبره من الهدف وأنه مع ذلك عاجز عن الوصول إليه .

فروض ... ان لديه منها الكثير ... قصة السور ، وقصة الطلقتين اللتين أطلقتا بعد ثمانية أيام على موبرز ... وقصة مسيو يعقوب والزيارات التى كان يقوم بها منذ خمسة عشر عاما إلى دى سان هيلير والمفتاح الضائع الذى لم يلبث البستانى أن عثر عليه بتلك الطريقة الغريبة . وقصة الغرفتين وطعنة الخنجر التى أتمت عمل الطلقة بعد لحظات وأخيراً قصة كرة القدم ودعابة الزواج لأن حب جاليه للرياضة ودعاباته ومغامراته الغرامية هى الحقائق التى استخلصها من قصة مأمور الضرائب المعقدة .

ابن حظ .. وزير نساء ! .

وسأله مسيو تارديفون :

– هل تتناول الطعام فى الشرفة أيها القوميسير .

وكان ميجريه قد بلغ الفندق من غير أن يشعر . وأجاب :

– سيـــان .

– وماذا تم فى التحقيق ؟

– فلنقل أنه انتهى ؟ .

– أيه ؟ .. والقاتل ؟ .

ولكن ميجريه هز كتفيه واجتاز الممرات التى انتشرت فيها رائحة المطبخ ودخل الغرفة التى تكدست فيها ملفاته فوق المنضدة والمدفأة والأرض .

ولم يكن أحد قد عبث بثياب القتيل التى ألقاها القوميسير فوق الأرض .

وانحنى ميجريه وانتزع الخنجر المغروز فى الأرض وراح يضرب به راحة يده وهو يسير جيئة وذهابا .

وكانت السماء تغطيها طبقة من السحب والغيوم ، والسور المواجه للنافذة كان يبدو ناصع البياض .

وكان القوميسير يسير من النافذة إلى الباب ومن الباب إلى النافذة ويلقى من وقت لآخر نظرة سريعة على الصور الموضوعة فوق المدفأة .

وصاح فجأة وهو يبلغ النافذة فى مرة تعد بعد الثلاثين :

– تعال لحظة ! .

وارتجفت أوراق الشجر عبر السور ، هناك حيث خمن ميجريه وجه دى سان هيلير .

وأرتد صاحب القصر إلى الخلف مذعوراً ولكنه لم يلبث أن

قال مازحا وهو يحاول السيطرة على أعصابه .
- هل ينبغى أن أقفز من السور ؟ .
- بل تعال من الباب الحديدى ... فهذا أيسر .
وكان المفتاح فوق المنضدة فالتقطه ميجريه وألقاه فى شىء من الاهمال من فوق السور ثم استمر فى سيره . وسمع المفتاح يقع فى الناحية الأخرى من السور ، بين المهملات المتراكمة فى الحديقة ثم سمع صوت برميل يزحزح عن مكانه وحفيف أوراق وأغصان.

ولم يكن هناك ريب فى أن يد دى سان هيلير كانت ترتجف وهو يفتح القفل .

وعندما بلغ صاحب القصر النافذة كان قد تمالك أعصابه . وقال في صوت مرح :

- من الصعب الإفلات من عينيك الحادتين . إن هذه القصة تثير اهتمامى لدرجة أننى عندما رأيتك تعود خطر لى أن أراقبك لأعرف الكثير مثلك وأثير حيرتك فى لقائنا المقبل .. هل أدخل من باب الفندق ؟ .
- لا . بل أقفز من النافذة .

ووثب دى سان هيلير فى خفة ورشاقة وقال وهو يردد البصر حوله :
- هذا غريب .. هذا الجو الذى تعيد فيه وقوع الحقائق .. وهذه الثياب ! .. أأنت الذى أعددتها هكذا ؟ .

وكان ميجريه يحشو غليونه فى بطء وهو يدفع كل قبضة من التبغ باصبعه السبابة .

- هل معك عود ثقاب ؟ .

- ان معى قداحة .. فأنا لا أستعمل أعواد الثقاب أبداً .

نظر المفتش إلى المدفأة حيث تجمعت ثلاث قطع صغيرة من الخشب اخضرت اطرافها المستهلكة بجوار رماد الورق وقال :

- طبعـــــا .

ولم يدر دى سان هيلير المعنى المقصود من وراء هذه الكلمة.

- أكنت تريد أن تسألنى شيئاً ؟ .

- لا أدرى بعد .. رأيتك .. وخطر لى أن رجلا ذكيا مثلك قد يستطيع أن يمدنى بأفكار جديدة .

وجلس فوق ركن من المنضدة وبسط غليونه للقداحة التى يمسك بها زميله وقال :

- عجبا ! .. أأنت أعسر ؟ .

- أنا ؟ لا .. هذه مجرد مصادفة .. لا أدرى كيف قدمت لك القداحة بيدى اليسرى .

- هل تتكرم فتغلق النافذة ؟ .

ولم تفارقه عينا ميجريه ... ولاحظ القوميسير أن دى سان هيلير توقف لحظة قبل أن يدير مقبض النافذة مستخدما يده اليمنى فى مثابرة ظاهرة .

(١٠)

المساعـــد

- افتح النافذة .

- ولكنك قلت لى منذ لحظة أن ...

وابتسم تيبورس دى سان هيلير كأنه يريد أن يقول :

- اننى رهن اشارتك على كل حال .. ومع ذلك فأنا لا أفهم

. أما ميجريه فلم يبتسم . ولو أن بعضهم نظر إليه فى تلك اللحظة لطالع فى وجهه امارات الضيق والتبرم الشديد .

كان فظا فى حركاته وفى صوته وفي لهجته . وكان يسير فى خطوات ثقيلة ويرفع رأسه فى حركات أشد ثقلا ثم يعود فيطرق ويتناول شيئاً من مكان ليضعه فى مكان آخر بلا سبب .

- بما أن هذه القضية تثير اهتمامك فانى أضمك مساعدا لى ... ولكنى أنذرك بأنى لن أهادنك وأننى سأعاملك تماماً كما لو كنت مفتشاً تابعاً لى تخضع لأوامرى .. أستدع صاحب الفندق.

وفتح سان هيلير الباب فى خضوع وصاح :

- تارديفون .. تارديفون .

وعندما أقبل صاحب الفندق كان ميجريه جالسا على حافة النافذة يحدق إلى الأرض فسأله قائلاً :

- مجرد سؤال يا مسيو تارديفون .. هل كان جاليه أعسر .. حاول أن تتذكر .

- أنا لم ألحظ ذلك قط .. صحيح .. هل يصافح الأعسر غيره بيده اليسرى ؟ .

- طبعا :

- اذن فهو لم يكن أعسر ، فان هذا الأمر ليجذب النظر ... ان من عادة نزلائى أن يصافحونى ...

- اذهب وأسأل العمال والموظفين فلعل بعضهم لحظ ذلك .

وقال سان هيلير وهو مازال بالخارج :

- هل تعلق أهمية كبرى على هذه النقطة ؟ .

ولكن القوميسير لم يرد وخرج إلى الممر وصاح بصاحب الفندق :

- وبهذه المناسبة .. اتصل بمسيو باردلهان ، مأمور الضرائب غير المباشرة بمدينة نيفر ... أظن أن لديه التليفون ...

وعاد أدراجه من غير أن ينظر إلى زميله ... وألقى نظرة إلى الثياب الملقاة على الأرض ثم قال :

والآن إلى العمل .. لم يكن أميل جاليه أعسر .. سوف نرى

إذا كانت هذه النقطة تفيدنا .. أو بالأحرى .. خذ هذا الخنجر .. هو الخنجر الذي استخدم في الجريمة .. لا ... اعطنى إياه فأنت تستخدم يدك اليسرى مرة أخرى .

والآن لنفرض أن بعضهم هاجمنى وأنه لابد لى من الدفاع عن نفسى واننى لست أعسر .. لاحظ ذلك .. سوف أمسك مقبض الخنجر طبعا بيدى اليمنى .

- تعال هنا ... سأثب عليك ... ولكنك أقوى منى فتمسك بيدى .. أمسك يدى هكذا .. من الواضح أنك تمسك اليد التى بها الخنجر وأنك تحاول ايقافها .

- هذا يكفى .. انظر إلى هذه الصورة .. إنها صورة الجثة التى التقطها مصورو البوليس القضائى .. ماذا ترى فيها .. ان الخدوش بيد اميل جاليه اليسرى .

- ما الخبر يا تارديفون ؟

- ان العمال والموظفين يؤكدون كلهم أن جاليه لم يكن أعسر .

- شكراً .. يمكنك أن تنصرف .

- والآن ، أنا مصغ إليك يا مسيو دى سان هيلير ... كيف تفسر لى هذا ؟ ...

- لم يكن جاليه أعسر . ومع ذلك فقد أمسك الخنجر بيده

اليسرى ... وثبت لدينا من التحقيق أنه لم يكن بيده اليمنى أى خدش .

– لست أرى غير حل واحد لهذه المسألة ... انظر ... أريد أن اغرز هذا النصل فى قلبى فماذا أفعل ؟ ... تتبع حركاتى حركة حركة .

– اننى أمسك المقبض بيدى اليسرى ... لأن تلك اليد لن تنفعنى الا فى أن أمسك الخنجر من الناحية الضرورية .. ان يدى اليمنى هى الأقوى .. وأنا أستخدمها لأضغط بها على يدى اليسرى .. أرأيت .. اننى أمسك قبضتى اليسرى بأصابع يدى اليمنى وأضغط بقوة لأننى مضطرب ولابد لى من أن أقاوم الألم ... بحيث أننى أصاب ببعض الخدوش .

وألقى الخنجر فوق المنضدة بحركة رشيقة ثم قال :

– لكى نفترض هذه الحقائق طبعا ينبغى أن نفترض أيضاً أن جاليه قتل نفسه .. ولم تكن يده من الطول بحيث يشهر مسدسا على بعد سبعة أمتار من مكانه .. أليس هذا صحيحا ؟ .. ولكن دعنا من هذا الافتراض ولنبحث عن غيره .

احتفظ سان هيلير بالابتسامة الضيقة على شفتيه ، ولكن حدقتيه ازدادتا اتساعا واخذتا تتحركان بطريقة غير عادية حتى لا تفارقا ميجريه الذى كان يسير جيئة وذهابا فى غير

إنقطاع ويأتى بخمسين حركة لا جدوى منها ليأتى بحركة ذات فائدة فيتناول الملف الوردى ويفتحه ثم يطويه تحت ملف آخر ، ويذهب فجأة فيغير موضع أحد حذاءى القتيل . ثم قال :

- تعال معى .. اقفز من فوق النافذة .. ها نحن أولاء فى طريق العشب .. لنتصور الآن اننا فى يوم السبت مساء وأن الوقت ليلا وأننا نسمع صخب العيد وضوضاءه واطلاق البارود والصواريخ ، ولنتصور أننا نرى فى السماء انعكاس الأضواء الصادرة من الملاهى . وإذاكان اميل قد خلع « سترته » وتسلق السور فليس هذا عملا سهلا لرجل مريض فى مثل سنه. أتبعنى يا مسيو سان ، وتقدمه حتى الباب ففتحه ثم اغلقه قائلاً :

- اعطنى المفتاح .. حسنا .. هذا الباب كان مغلقا والمفتاح كان موجودا فى تجويف بين حجزتين منذ وقت طويل .. والبستانى الذى يعمل عندك هو الذى قال لى ذلك .. ونحن الآن داخل أملاكك .. ولا تنس أن الوقت ليل .. لاحظ أننا لا نحاول إلا أن نبحث عن معنى بعض الدلائل أو بالحرى نحاول أن نوفق بين بعض الدلائل المتناقضة . تعال من هنا من فضلك .. لنتصور أن فى الحديقة شخصا تقلقه حركات اميل جاليه ، وجاليه كما نعرف رجل محتال ، والله وحده يعلم ما الذى يثقل

ضميرا . فى هذه الناحية من السور اذن رجل مثلى ومثلك لحظ فى تلك الليلة أن جاليه كان مضطرب الأعصاب . بل لعله كان يدرى أنه كان فى موقف ميئوس منه . وصاحبنا هذا ، ويمكننا أن ندعوه « س » كما نفعل فى الجبر يمشى جيئة وذهابا بمحاذاه السور ويرى فجأة اميل جاليه ، سابقا مسيو كليمان واقفا من غير « سترة » فوق السور . هل يمكن أن ترى هذا الموضع من السور وأنت فى الفيللا ؟ .

– لا ... لا أفهم ما الذى تريد الوصول إليه . .

– لا أريد الوصول إلى شىء .. أننا نقوم بالتحرى والاستقصاء فقط . وعلينا أن نغير نظرياتنا مائة مرة إذا اقتضى الأمر .. انظر ... هأنذا أغير نظريتى السابقة ... إن « س » لا يتنزه .. رأى براميل فارغة فى ركن من الحديقة وبدلا من أن يثب فوق السور ليرى ما يدور فى الغرفة أخذ واحدا من هذه البراميل ووقف عليه . وفى هذه اللحظة ظهر أميل جاليه فى الفضاء . لم يبدكل من الرجلين حراكا لأنه لو كان لديهما شىء يقال لاقترب أحدهما من الآخر .. ولكى يسمع أحدهما صوت الآخر على بعد عشرة أمتار لابد لهما من التحدث بصوت عال . ورجلان يلتقيان فى مثل هذه الظروف غير العادية ، احدهما فوق برميل ، والآخر محتفظ بتوازنه فوق

سور لا يشعران باى ميل في إجتذاب الاهتمام إليهما . على أن س واقف في الظلام ... وأميل جاليه لا يراه .. وهو لا يلبث أن يهبط من مكانه ويعود إلى غرفته و ... وهنا يغدو الأمر صعبا .. إلا إذا افترضنا أن س أطلق الرصاص .

- ماذا تعنى ؟ .

وكان ميجريه قد صعد فوق البرميل فهبط فى بطء وهو يقول :

- أعطني نارا من فضلك .. حسنا .. أنت تستخدم يدك اليسرى مرة أخرى . سوف نتخذ الآن الطريق نفسه الذى اتخذه س من غير أن نهتم بمن أطلق النار .. تعال ... إنه يأخذ المفتاح من موضعه .. ويفتح الباب ... ولكنه قبل ذلك ذهب إلى مكان ما ليبحث عن قفاز من الكاوتشوك .. ينبغى أن تسأل طاهيتك إن كانت تستخدم قفازاً فى تقشير البطاطس وإن كان هذا القفاز قد اختفى .. أهى جميلة ؟ .

- لا أدرى معنى هذا السؤال .

ودوى فى هذه اللحظة صوت رعد شديد ولكن لم تسقط نقطة واحدة من المطر .

- لا يهم .. الباب الحديدى مفتوح الآن ... س يقترب من النافذة ويرى الجثة .. لأن أميل جاليه مات ... فان طعنة

الخنجر أعقبت على الفور الطلقة النارية والأطباء يجمعون على ذلك ، وآثار الدم تثبت هى الأخرى ما تقدم .. ثم أننا رأينا منذ لحظات أن طعنة الخنجر إنما كانت من عمل القتيل نفسه . وكانت المدفأة لا تزال ساخنة وفيها رماد أوراق محترقة ، وبين هذا الرماد نجد بقايا أعواد ثقاب استخدمها جاليه . ومع ذلك فان س يفتش الحقيبة كما يفتش المحفظة أيضاً ولا يلبث أن يعيدها إلى جيب القتيل فى عناية بالغة ثم يعود أدراجه ولكنه ينسى أن يغلق الباب بالمفتاح وأن يعيد المفتاح إلى مكانه . ومع ذلك فقد عثرنا على المفتاح فى طريق العشب .

ولبث ميجريه بعضا من الوقت من غير أن ينظر إلى محدثه، ومع ذلك فقد لحظ التغيير الملموس الذى ظهر على سحنته المدحورة .

وقال :

- وليس هذا كل شيء .. أعتقد أنه لم تصادفنى فى حياتى قصة معقدة وسهلة فى الوقت نفسه كهذه القصة .. فنحن نعرف طبعا أن الذى يدعو نفسه مسيو كليمان رجل محتال .. ونحن نرى الآن أنه هو الذى أتلف كل المستندات والبراهين الدالة على طرق معيشته كما لو كان قد توقع حدوث أمر جلل . ومن هنا نرى فناء الفندق .. ومن هنا على اليسار

ترى الغرفة التى طلبها اميل جالپه بعد الظهر والتى قيل له أنها ليست شاغرة. وبناء على ذلك فان موقفه بعد ظهر ذلك اليوم هو موقفه فى مساء اليوم . كان فى حاجة إلى عشرين ألف فرنك بأى حال من الأحوال ليدفعها صباح يوم الإثنين وإلا فإن أناسا يبتزون نقوده سوف يشون به إلى البوليس . لنفرض جدلا أنه حصل على هذه الغرفة .. لو أن هذا حدث ما كان هناك داع لاجتياز ممر العشب ولتسلق السور . إذن فان تسلق السور لم يكن ضرورة بالنسبة له .. أو إذا آثرت القول كان فى الإمكان تغيير تسلق السور بشىء آخر .. شىء آخر موجود فى الفناء . ماذا ترى فى الفناء ؟ ... بئراً .. لعلك تقول انه كان يريد أن يلقى بنفسه فيها ، ولكنى أرد عليك فأقول أنه كان باستطاعته وهو خارج الغرفة التى يشغلها أن يجتاز الفناء وأن يذهب فيلقى بنفسه فى البئر بكل بساطة .

كان يلزمه وجود البئر والغرفة فى وقت واحد . ما الخبر يا مسيو تارديفون ؟ .

- نيفر على الخط .

- مأمور الضرائب ؟ .

- هو نفسه .

- تعال يا مسيو دى سان هيلير ... مادمت تريد أن

تساعدنى فمن العدل أن تشهد كل أطوار التحقيق . خذ السماعة الثانية ... ألو ... هنا القوميسير ميجريه ... لا تخشى شيئاً .. أردت فقط أن أسألك سؤالا لم يدر بخلدى وأنا عندك : صديقك جاليه .. ألم يكن أعسر ؟ . ماذا تقول ؟ . أعسر اليد والقدم .. كان يزاول لعبة كرة القدم بقدمه اليسرى .. هل أنت واثق ؟ هو ذلك .. كلا .. هذا كل شيء .. شكرا لك .. سؤال آخر : هل كان يعرف اللغة اللاتينية ؟ . لماذا تضحك ؟ . كان أغبى من دابة ؟ . إلى هذا الحد . هذا غريب. نعم .. قل لى . هل رأيت صورة القتيل ؟ كلا .. إنه تغير منذ سايجون طبعا .. ان الصورة الوحيدة التى أملكها التقطت عنه وهو يتبع نظاما خاصا .. ولكن قد أريك فى الأيام المقبلة شخصا يشبهه .. شكرا .. أجل .

وأعاد ميجريه السماعة وضحك ضحكة جوفاء ثم تنهد وقال :

– أرأيت كيف يمكن أن يشط الحماس بنا .. كل ما قلناه حتى الآن لا يقوم إلا على أساس أن صاحبنا اميل جاليه ليس أعسر ... لأنه لو كان أعسر فان ذلك يدل على أنه كان فى مقدوره أن يستخدم الخنجر فى مهاجمة غريمه وينبغى أن نتخذ هذا درساً لنا حتى لا نثق بتوكيدات الغير .

وقال مسيو تارديفون فى امتعاض وقد سمع قول القوميسير:

- لقد أعد العشاء .

- سوف نأتى حالا .. لنفرغ مما نحن فيه أولا ، وخاصة أننى لا أريد أن أستغل صبر مسيو دى سان هيلير .. فلنعد إلى غرفة الجريمة كما يقولون ...

وإذ ضمتهما الغرفة قال فجأة :

- انك رأيت اميل جاليه على قيد الحياة . وما سوف اذكره لك الآن سوف يبعثك على الضحك . نعم يمكنك أن تضىء المصباح فمع هذه السماء الملبدة بالغيوم يخيم الظلام قبل موعده بساعة .. حسنا .. أما أنا فلم أره ولكنى أقضى وقتى منذ الجريمة وأنا أحاول أن أتصوره حيا . ولأجل هذا ذهبت فشممت الهواء الذى كان يشمه .. واصطدمت بالناس الذين كان يعيش فى وسطهم . انظر إلى هذه الصورة ... أراهنك على أنك سوف تقول مثلي «مسكين» ... لاسيما إذا عرفت أن الطبيب كان يعتقد أنه لن يعيش أكثر من ثلاث سنوات أخرى .. فالكبد مريض والقلب متعب لا ينتظر إلا أوهى الأسباب ليتوقف عن الحركة . أردت أن أرى كيف يعيش صاحبنا منذ حداثته ولكنى لم أستطع للأسف أن أرجع إلا ابتداء من

اللحظة التى تزوج فيها فقد احتفظ بسره لنفسه عن كل ما يمت بصلة إلى الفترة التى سبقت زواجه ولم يفض بها حتى إلى زوجته. كل ما تعرفه عنه هو أنه ولد فى ثانت وأنه قضى بضع سنوات فى الهند الصينية ... ولكنه لم يعد منها بصورة أو بذكرى واحدة ... لم يتكلم عنها قط . هو وكيل تجارى بسيط يملك ثلاثين ألف فرنك .. فى الثلاثين من عمره .. ضيق الأفق، أخرق ، سوادوى المزاج . يلتقى بأورور بريجان .. ويضع نصب عينيه أن يتزوج بها ولكن آل بريجان لهم مطالب فالأب ، وقد ضاقت به السبل لا يجد المال الكافى «لتمويل» جريدته ولكنه كان السكرتير الخاص للمطالب بعرش فرنسا .. وهو يراسل علية القوم من الأمراء والنبلاء .. وابنته الصغرى متزوجة بسيد دباغ .. وصاحبنا اميل لا يبدو فى المظهر اللائق به بين هؤلاء القوم . وإذا كانوا قد قبلوه فذلك لأنه رضى أن يساهم «برأسماله» فى جريدة « الشمس » وهم يحتملونه بقدر الإمكان . فقد كانوا يرون أن من الإنحطاط مصاهرة رجل عادي يبيع أدوات منزلية واخرى فضية للهدايا . وهم يحاولون أن ينفثوا فيه روح الطموح ... ولكنه يقاوم فهو يشعر بأنه لم يخلق لمثل هذا العمل العظيم ثم أنه كان فى ذلك الوقت قد بدأ يشكو من كبده وكان يتوق إلى حياة هادئة يقضيها فى

الريف مع زوجته التى يكن لها كل حب . ولكنها هى الأخرى تدفعه بدورها، ولعل اختيها وزوجيهما اجترءوا على نعتها بزوجة الرجل الخامل الذى لا طموح له وعاملوها على أنها امرأة فقيرة وعتبوا عليها اقترانها به . ويموت بريجان .. وتتوقف جريدة « الشمس » عن الصدور واميل جاليه لا يزال يبيع أدواته الفضية لسكان الريف . ولكن مهما يكن فهو يجد عزاءه فى الصيد بالبوصة وفى اختراع أجهزة فى غاية الاتقان وفى فك الساعات والمنبهات . وورث أبنه عنه مرض الكبد ولكنه ورث إلى جانب ذلك طموح آل بريجان . وقد قرر أميل جاليه ذات يوم أن يقوم بشىء ، فهو يملك ملفات جريدة الشمس، ولاحظ أن اناسا كثيرين يدفعون مبالغ باهظة بمجرد أن يحدثهم البعض عن قضية الملكيين . وهو يبدأ المحاولة .. ولكنه لا يطلع أحدا على ذلك ... وكان يباشر عمله الجديد فى البداية إلى جانب عمله كوكيل تجارى بطبيعة الحال فقد كان لايزال خجولا وكان يباشر النصب والاحتيال على دفعات صغيرة. ولكن النصب يفلح معه اكثر مما كان يتوقع ... فبعد وقت قليل يتمكن من شراء قطعة أرض من التقسيم الجديد بسان فارجو ويبنى عليها « فيللا » وهو يتبع فى أثناء ذلك نظاما دقيقا يواظب عليه كل المواظبة... ولما كان يخشى أسرته ويخافها

أكبر الخوف فقد استمر في نظرها في تمثيل شركة نبيل بنورماندیا ولكنه لم يصب مع ذلك ثروة كبيرة فان الملكيين لا يعدون بالملايين وبعضهم شديدو القسوة والبخل .. ولكنه على كل حال يعيش في بحبوحة كان في المقدور أن يقنع بها لو أن أسرته لم تعتب عليه ضيق أفقه وعدم طموحه ، وهو يحب زوجته كل الحب على الرغم من نقائصها .. ولعله يحب ابنه هو الآخر .

وتمر السنون وتزداد به علة الكبد ويقع فريسة لنوبات كثيرة بحيث أصبح يتوقع أن يموت في أية لحظة . وعندئذ يعقد وثيقة تأمين على الحياة بمبلغ كبير جدا ليتسنى لأهله الاحتفاظ بمستوى معيشتهم من بعده .. المعيشة نفسها .. ويرهق نفسه في سبيل ذلك .. ويضاعف زياراته لعلية القوم من النبلاء والملكيين في قصورهم .. انك تسمعني بأذن صاغية ، أليس كذلك ؟ . ولكن منذ ثلاث سنوات يكتب إليه المدعو مسيو يعقوب ... والمسيو يعقوب هذا يعرف طبيعة عمله ويطالبه بالمال كل ثلاثة شهور في غير انقطاع ثمنا لصمته . ماذا يمكن أن يفعل حياله ؟ .. لقد أصبح وصمة في جبين عائلة بريجان .. هو القريب الفقير الذي يقنعون بارسال بطاقة بريدية إليه في مستهل العام ، وهم الذين شقوا طريقهم وأصبحوا أناسا مرموقين يفضلون ألا يلتقوا

به . وفى يوم السبت ٢٥ من يونية نجده هنا وفى جيبه الخطاب الأخير لمسيو يعقوب والذى يطالبه فيه بعشرين ألف فرنك ويهله حتى يوم الإثنين المقبل . وقد قطعت منذ قليل الطريق من المحطة حتى الفندق وأنا أحاول أن أضع نفسى مكانه . ومن الواضح أنه لا يمكنه أن يجمع عشرين ألف فرنك فى يوم واحد ولو ساق إلى المليكين اقوى الحجج والبراهين . وعلى كل حال فهو لا يحاول .. بل يزورك مرتين ... وعقب زيارته الثانية معك يطلب غرفة تطل على الفناء . هل راوده الأمل فى أن يحصل منك على عشرين ألف فرنك ؟ لو صح هذا فمن المسلم به أنه فقد ذلك الأمل فى المساء . والآن قل لى ماذا كان يريد أن يفعل فى تلك الغرفة التى لم يحصل عليها وعندئذ نعرف لماذا تسلق السور .

ورفع ميجريه عينيه نحو محدثه الذى اختلجت شفتاه وقال :

- هذا عظيم .. ولكن .. فيما يخصنى ، لا أدرى ..

- كم كان عمرك عندما مات أبوك ؟ .

- كان اثنى عشر عاما .

- هل كانت والدتك على قيد الحياة ؟ .

- لقد ماتت بعد ولادتى بقليل ... ولكن هل أكون فضوليا إذا أنا أردت أن أعرف ماذا ..

- هل قام بعض الأقارب بتربيتك ؟ .

- لم يكن لى أى قريب .. فأنا آخر سلالة دى سان هيلير . عندما مات أبى ترك لى ما يكفى - من النقود - دفع نفقات تعليمى فى ليسيه بورج ... نفقات تعليمى ومأكلى وملبسى حتى أبلغ التاسعة عشرة ... ولولا ميراث لم يكن فى الحسبان من ابن خال نسي الجميع أمره ...

- وكان يعيش فى الهند الصينية على ما أعتقد .

- أجل ... كان ابن خال بعيد لم يكن ينتمى حتى إلى آل سان هيلير ... كان واحدا من أسرة دورانتى دى لاروش .

- كم كان عمرك عندما ورثت ؟ .

- كنت فى الثانية والعشرين .

- انك من الثانية عشرة حتى الثانية والعشرين ...

- كنت أجد قوتى بشق النفس .. ولا أشعر بأى خجل فى الاعتراف بذلك ... ولكن الوقت تقدم بنا أيها القوميسير وأظن أن من الأوفق أن ...

- لحظة واحدة .. لم أرك بعد ما يمكن عمله ببئر وغرفة ... هل معك مسدس ؟ .. هذا لا يهم فمعى أنا مسدس ... لا ريب أن هناك دوبارة فى مكان ما .. حسنا ... تتبع حركاتى .. هأنذا أربط مقبض المسدس بطرف الدوبارة ... لنفترض أن

طولها ستة أو سبعة أمتار .. ليس لهذا أهمية . اذهب وابحث لى عن حجر فى الطريق ..

مرة أخرى أسرع دى سان هيلير لتلبية الطلب ولم يلبث أن عاد بالحجر .

وقال ميجريه :

- يدك اليسرى مرة أخرى .. ولكن لندع ذلك .. هأنذا أربط الطرف الآخر للدوبارة بالحجر ... يمكننا أن نقوم بتطبيق هذه النظرية هنا على افتراض أن حاجز النافذة يقوم مقام حلقة البئر . اننى أترك الحجر يسقط من الناحية الأخرى ... أعنى فى البئر ، ومعى المسدس فى يدى ... ثم أطلق الرصاص على أى شىء ... على نفسى مثلا ثم أتركه .. فما الذى يحدث ؟ . إن الحجر المتدلى فى البئر سوف يهبط فى القاع جارا معه الدوبارة وفى آخرها المسدس . ويصل رجال البوليس ويجدون الجثة ولكنهم لا يجدون أثرا للسلاح ... فماذا يستنتجون ؟ .

- إن هناك جريمة .

- حسنـــا .

وأخرج ميجريه علبة الثقاب من جيبه وأشعل غليونه دون أن يحتاج إلى قداحة زميله .

وبينما هو يلتقط ثياب جاليه فى شىء من الارتياح بعد أن

فرغ من عمل استدعى منه وقتا طويلا قال بصوته العادى :

- والآن ... اذهب وأتنى بالمسدس .

-ولكن ... انك لم تتركه يسقط ... إنه فى يدك .

- أقصد ... اذهب وأتنى بالمسدس الذى قتل اميل جاليه ... أسرع .

وعلق « البنطلون » والصديرى على المشجب بجوار «السترة» ذات الكمين غير المتناسقين .

(١١)

صفقة تجارية

واذ كان ميجريه يدير ظهره لدى سان هيلير تغيرت ملامح هذا الأخير فجأة وتبدلت سحنته فبدا على وجهه تعبير غريب كان مزيجاً من القلق والحقد ومن شيء من الجرأة والاعتداد بالنفس .

- ماذا تنتظر ؟ .

وخرج أخيراً عن طريق النافذة وسار إلى الباب الحديدى بممر العشب وإختفى فى الحديقة بحيث أن القوميسير أرهف أذنيه وقد أحس بشىء من القلق .

كان الظلام قد خيم على المكان وانعكس نور الشرفة على الشاطىء واختلط صوت السكاكين والشوك بصخب النزلاء وضجيجهم .

وتحركت بعض الأغصان من الناحية الأخرى للسور فجأة .

وكان الظلام شاملا بحيث تبين ميجريه فى صعوبة قامة سان هيلير على قمة السور .

وسمع حفيف أغصان أخرى ثم صوت خافت يقول :

- هل لك أن تتلقفه ؟ .

هز القوميسير كتفيه ولم يتحرك فاضطر دى سان هيلير أن يعود أدراجه من الطريق الذى خرج منه منذ لحظات .

وعندما دخل الغرفة كان أول ما فعله هو أن ألقى بالمسدس فوق المنضدة . كان هادئا منتصب القامة . ولمس ذراع ميجريه بحركة رشيقة لم تخل من ارتباك يكاد لا يلحظ وتمتم قائلاً :

- ما رأيك فى مائتى ألف فرنك ؟ .

واضطر أن يسعل . كان يود أن يبدو سيدا كبيرا كريما هادىء الأعصاب لا يثقل ضميره شيء ولكنه فى الوقت نفسه بدا خجولاً واحتبست الكلمات فى حلقه :

- هيه ؟ ... ربما ثلثمائة ألف ...

ولكن وا أسفاه ! ... عندما رفع ميجريه بصره إليه فى غير انفعال وفى غير غضب وزوى بين حاجبيه الكثيفين فى تهكم وسخرية فقد سان هيلير جأشه وارتد خطوة أو خطوتين إلى الخلف وردد البصر حوله كالغريق يحاول أن يتعلق « بقشة » .

وبدا التغيير سريعا ... فقد ارتسمت على وجهه ابتسامة

كبيرة مبتذلة لم تمنع وجهه من الاحمرار وبرقت حدقتاه ببريق القلق ... لقد فشل فى دور السيد الكبير الكريم فحاول أن يقوم بدور آخر.. دور الرجل الفاجر الماجن الذى لا يقف فى طريقه شىء .

- تبا لك اذن ... على أننى كنت ساذجاً .. ما الذى يمكن أن تفعله ؟ .. هناك تقادم بمضى المدة .

ولكنه على الرغم من ابتسامته المبتذلة الماجنة بدا قزما أمام ميجريه الذى وقف يسد عرض النافذة بقامته الطويلة وكتفيه الضخمين وكميه المنتفخين وكأنه عملاق من عمالقة العصور الوسطى .

وهتف سان هيلير فى انفعال :

- ثم أنك تعرف أننى لم أقتل ... أليس كذلك ؟ .

وقال ميجريه :

- اجلـــــس ! .

- بل أوثر أن أبقى واقفاً .

- أجلـــــس ! .

وأطاعه كالطفل المذعور فى اللحظة التى تحول فيها

ميجريه إليه .

كان زائغ البصر شاحب الوجه يحس بأنه أقل من الدور الذى كتب عليه أن يقوم به ويحاول أن يتغلب على التيار .

وقال له ميجريه :

- أظن أنه ليس من الضرورى أن استدعى مأمور الضرائب غير المباشرة بنيفر ليتعرف على صديقه القديم اميل جاليه ! . اوه ... كان فى مقدورى أن أصل إلى الحقيقة من غير مساعدته .. كان الأمر يقتضى وقتا أطول فقط لا غير ... منذ مدة طويلة وأنا أحس أن هناك شيئاً غير عادى فى هذه القضية ... لا تحاول أن تفهم ... عندما تبدو جميع الأدلة كأنها تساهم فى تعقيد الأمور بدلا من تبسيطها فذلك لأنها زائفة وكل شىء فى هذه القضية كان زائفاً بدون استثناء .. الطلقة النارية وطعنة الخنجر ... والغرفة المطلة على الفناء والسور والخدوش على اليد اليسرى والمفتاح الضائع .

وحتى الجناة الثلاثة المحتمل اتهامهم . واميل جاليه نفسه الذى بدا زائفاً سواء كان حيا أو ميتا . وعلى فرض أن مأمور الضرائب غير المباشرة لم يتكلم ... فقد كنت مصرا على البحث

والتنقيب فى ماضى اميل جاليه إلى أبعد الحدود ... ولو اقتضى منى الأمر الرجوع إلى الليسيه حيث كنت سأعلم الحقيقة حتما .. والواقع أنك لم تبق فى ليسيه نانت مدة كبيرة.

- مكثت سنتين ... طردونى بعدهما .

- طبعا .. فقد كنت تلعب بكرة القدم كما كنت تطارد الفتيات من غير شك ... أرأيت أن الحقائق كانت تتخبط بدلا من أن تجتمع وتكتمل ؟ .. انظر إلى هذه الصورة ... انظر إليها .. فى الوقت الذى كنت تثب فيه من فوق سور الليسيه لترافق صويحباتك الصغيرات كان هذا المسكين يعانى من كبده. كان سيطول بى الوقت حتى أجمع الأدلة .. وما كان ذلك ليمنعنى من معرفة الضرورى ... فان صاحبى الذى كان بحاجة ملحة إلى عشرين ألف فرنك لم يكن فى سانسر إلا ليطلبها منك . وأنت قد استقبلته مرتين ... وفي المساء كنت تراقبه من فوق السور .. كنت تشك فى أنه سينتحر ، أليس كذلك ؟ ... بل لعله أطلعك على نيته تلك .

- كلا . ولكنه بدا شديد الانفعال ... كان يتحدث بعد الظهر فى صوت متهدج اثارنى .

- ذلك لأنك رفضت أن تقدم له عشرين ألف فرنك .

- لم يكن فى مقدورى أن أفعل غير ذلك ... كان لا ينقطع أبداً عن مطالبتى بالمال .. ولو أننى نزلت عند طلباته التى لا تنقطع لأفلست من مدة كبيرة .

- علمت فى سايجون، وأنت عند موثق العقود أنه سيرث؟.

- أجل ... أقبل رجل غريب للقاء مخدومى ... شيخ مأفون كان يعيش فى «الأحراش» منذ أكثر من عشرين سنة لم يكن يرى فيها رجلا أبيض غيره إلا مرة كل ثلاث سنوات ... كان فريسة للحمى والأفيون .. وقد حضرت الحديث الذى تم بينهما.

قال هذا تقريبا : لن ألبث أن أموت بعد قليل ولست أدرى إذا كان لايزال على قيد الحياة بعض أفراد آل سان هيلير، وأن كنت أشك فى ذلك لأننى عندما غادرت فرنسا كان آخر سليل لهذه الأسرة فى حالة يرثى لها ولا ريب أنه مات من الضعف والهزال ... إذا كان قد ترك خلفا له ، وإذا أهتديت أنت إلى هذا الخلف فسوف يكون وريثى الوحيد .

وقال ميجريه :

- وكانت تخامرك الفكرة فى أن تغدو غنيا ذات يوم ... استمر .

- كان لابد على كل حال من العودة إلى فرنسا بسبب النساء فقد تجاوزت الحد فى الهند الصينية . وكان هناك ازواج

واخوة وآباء يحقدون على وخطر لى أن أبحث عن آخر سلالة سان هيلير ولم يكن ذلك بالعمل الهين ... واهتديت إلى أثر تيبورس فى ليسيه بورج . وقيل لى هناك انهم لا يعلمون ما حدث له وعرفت أنه شاب مكتئب منطو على نفسه لم يصادقه أحد قط فى المدرسة ، فقال ميجريه فى حدة :

– طبعا ... فلم يكن فى جيبه مليم واحد ... كل ما كان يتمتع به هو الدراسة والمأكل حتى نهاية دراسته .

– كانت الفكرة التى خامرتنى حتى تلك اللحظة أن اقاسمه الميراث بأى وسيلة .. ولم أكن أدرى كيف ؟ ... ولكننى لم ألبث أن لاحظت أن الحصول على كل شىء أسهل بكثير من اقتسامه .. ومرت ثلاثة شهور قبل أن أضع يدى عليه فى مدينة الهافر حيث كان يحاول الحصول على وظيفة رئيس خدم أو مترجم على سطح احدى البواخر ولم يكن الباقى معه فى ذلك الوقت غير اثنى عشر فرنكا . وعرضت عليه كأسا من الشراب واستدرجته فى الحديث حتى عرفت عنه كل شىء ، على الرغم من أنه كان يرد على بكلمات متقطعة . كان قد عمل مدرسا فى أحد القصور ومصححا فى مطبعة بمدينة روين وبائع كتب فى مكتبة . وكان يرتدى « سترة » مضحكة وينمى لحية صغيرة شقراء تدعو إلى الضحك . وقامرت بكل

شيء فقلت له اننى اريد الإثراء فى أمريكا وان ما من شيء يساعد المرء هناك وخاصة قبل النساء كلقب نبيل . وعرضت عليه أن اشترى اسمه، كان معى قليل من المال فقد كان أبى تاجر جياد فى نانت وخلف لى ثروة صغيرة بعد موته . ودفعت له ثلاثين ألف فرنك مقابل أن أدعو نفسى تيبورس دى سان هيلير .

نظر ميجريه نظرة خاطفة إلى الصورة ثم إلى محدثه من أعلى رأسه إلى إخمص قدميه وحدق إليه مليا بحيث أنه استطرد يقول مبررا عمله :

- أليس هذا ما يفعله رجال الأعمال وهم يشترون سندات مالية بمائتى ألف فرنك واثقين أنهم يستطيعون بيعها بأضعاف ثمنها بعد شهر أو أكثر ... أما الميراث فقد انتظرته أنا أربع سنوات فان الشيخ المأفون الذى يعيش فى « الأحراش » كان يأبى أن يموت ... على حين تجردت أنا من مالى ورحت أتضور جوعا . كنا فى سن واحدة تقريبا ... اكتفينا بأن تبادلنا أوراقنا .. وقد اشترطت عليه ألا يضع قدمه فى نانت لئلا يراه واحد من معارفى . أما أنا فلم يكن هناك ما أخشى منه ... فان تيبورس الحقيقى لم يكن له معارف أو أصدقاء ، وفى أغلب الأحيان كان لا يذكر اسمه الحقيقى الذى كان يعتبره نحسا عليه.

فلم يكن من المعقول أن يشتغل تيبورس دى سان هيلير صاحب اللقب العظيم بائعاً فى إحدى المكتبات .

– وأخيراً طالعتنى الجرائد ذات يوم بنبأ صغير تذكر فيه أمر الميراث وتطلب من الوارث – إذا كان على قيد الحياة – الحضور . أفتظن أننى لم أربح المليون والنصف التى تركها لى الشيخ المأفون عن جدارة ؟ .

وكان قد استعاد جأشه وقد شجعه صمت ميجريه على ذلك، ولو ترك نفسه على سجيتها لغمز بطرف عينه .

– وكان جاليه قد تزوج فى أثناء ذلك ، ولم تكن أحواله مرضية فعاد إلى يعاتبنى بسحنة مقلوبة بحيث أننى ظننت لحظة أنه سيقتلنى . أعطيته عشرة آلاف فرنك أخذها فى آخر الأمر ومضى ولكنه عاد من جديد بعد ستة أشهر .. ثم أخذ يعود بعد ذلك بانتظام وكان يهددنى فى كل مرة بأنه سوف يذكر الحقيقة ، وحاولت أن اقنعه بأنه إذا تكلم فسوف يودى بنا نحن الاثنين . ثم أنه كانت له اسرة .. اسرة كان يبدو أنه يعمل لها ألف حساب . وشيئاً فشيئاً غير لهجته .. وشاخ قبل الأوان . كان يبدو مضحكا «بسترته» الغريبة ولحيته القصيرة ووجهه الشاحب وعينيه المطرقتين .. وكان يبدأ دائما بمطالبتى بخمسين ألف فرنك ... لتسوية الموقف بيننا مرة واحدة .. وكان

يقسم ... ويغلظ فى الإيمان وينتهى به الأمر إلى أن يعود أدراجه ومعه ورقة أو ورقتين من فئة ألف فرنك ولكن لو جمعت هذه المبالغ التى أخذها منى طوال الثمانية عشر عاما .. أؤكد لك أننى لو لم أكن صلبا معه لكنت من الخاسرين . أما أنا فقد عملت بجد ونشاط فى أثناء ذلك .. فاستثمرت أموالى وزرعت الأراضى التى تمتد أمام ناظريك وملأتها كروما . وكان هو فى أثناء ذلك .. يدعى بأنه يتنقل من بلد إلى بلد ممثلا احدى شركات التجارة على حين كان يمارس التسول فى الواقع . وقد استطاب عمله ذاك وراح يلاقى الناس تحت اسم مسيو كليمان كما تعرف . ماذا كان ينبغى أن أفعل .. قل لى .

كان صوته يرتفع ويزداد تضخما من لحظة لأخرى . وبحركة غير ارادية نهض من مكانه واقفا واستطرد يقول :

– وفى يوم السبت الذى نحن بصدده جاءنى يطلب منى عشرين ألف فرنك على الفور .. ولو أننى كنت مستعدا لتقديمها إليه ما استطعت لأن المصرف كان مقفلا ... ثم اننى كنت قد دفعت له ما فيه الكفاية . أليس كذلك ؟ وقد صارحته بذلك ورميته بالانحطاط .. وحاول أن يؤثر على مرة أخرى بعد الظهر بصورة ذليلة ملأتنى تقززا .. فان الرجل لا ينبغى أن يذل

لنفسه بهذه الصورة ... فهو يقامر بحياته .. ويعرض نفسه
كسب والخسارة .. ولكنه ينبغى قبل كل شىء أن يكون على
يء من الكرامة والكبرياء .
وقاطعه ميجريه فقال فى رقة غريبة :
- وهل قلت له ذلك ؟ .
- ولم لا ... كنت أرجو أن أقومه وأن أدفعه إلى تمالك
عصابه .. وقد عرضت عليه خمسمائة فرنك .
وأعتمد ميجريه بمرفقه على المدفأة ونظر إلى صورة الميت
وهو يقول :
- خمسمائة فرنك .
- سأريك الدفتر الصغير الذى أدون فيه كل نفقاتى والذى
يثبت لك أنه قد سحب منى حتى اليوم أكثر من مائتى ألف
فرنك . وفى المساء كنت أسير فى الحديقة ...
- ولم تكن تشعر بالإرتياح ؟ ...
- كنت منفعلا ولا أدرى لماذا ... وسمعت صوتاً آتيا من
قمة السور ثم رأيته يدبر شيئاً لم أتبينه فى الشجرة الواقعة
أمام الغرفة .. وقد ظننت فى بادىء الأمر أنه يدبر لى
«مقلباً» . ولكنه لم يلبث أن اختفى كما ظهر .. وصعدت فوق
برميل .. كان قد عاد إلى غرفته ، حيث كان يقف بجوار

المنضدة ووجهه شطرى ولكن لم يكن بمقدوره أن يرانى . لم أفهم شيئاً .. وأقسم لك أننى فى هذه اللحظة ملئت خوفا ... فقد انطلقت الرصاصة على بعد عشرة أمتار منى ولم يتحرك جاليه . ولكن خده الأيمن اصطبغ باللون الأحمر ... وأخذ الدم يسيل .. وظل واقفا ينظر إلى النقطة نفسها كما لو كان ينتظر شيئاً...

أخذ ميجريه المسدس من فوق المدفأة . كان لا يزال مربوطا بوتر من أوتار العود، من المعدن المجدول كتلك الأوتار المتينة التى تستخدم فى صيد الأسماك الكبيرة الحجم ، وقد ثبت تحت مخزن الرصاص صندوق رفيع من الصلب شد إلى الزناد بسلك دقيق .

وفتح ميجريه الصندوق بظفره فكشف تركيبا ميكانيكيا كذلك التركيب الذى يوجد عند المشتغلين بالتصوير والذى يسمح لأى شخص بأن يصور نفسه . ويكفى أن يدير زنبركا لا يلبث أن يرتخى من تلقاء نفسه بعد بضع ثوان ، ولكنه كان فى هذه المناسبة تركيبا ثلاثيا ونتيجة لذلك كان لابد أن تنطلق ثلاث رصاصات .

وقال ميجريه فى صوت بطىء أجش بعض الشىء :

– لا ريب أن الزنبرك قد أصابه عطب بعد الطلقة الأولى ..

وكانت آخر كلمات سان هيلير لا تزال ترن فى أذنه :

- ولكن خده الأيمن اصطبغ باللون الأحمر .. وأخذ الدم يسيل وظل واقفا ينظر إلى « النقطة» نفسها كما لو كان ينتظر شيئاً ...

- كان ينتظر الرصاصتين الباقيتين طبعا ... فقد شك فى دقة الطلقات ... وكان واثقا أن سوف تصيبه رصاصة واحدة على الأقل من بين الرصاصات الثلاث . ولكن لم تنطلق الرصاصتان الباقيتان فبادر باخراج خنجره .

واستطرد دى سان هيلير يقول :

- كان يترنح عندما غرز السلاح فى صدره ... وقد وقع جثة هامدة على الفور .. ومات طبعا .. وكانت الفكرة الأولى التي خطرت لى أن عمله هذا كان انتقاما وأنه لابد ترك وراءه أوراقاً تكشف الحقيقة ... بل لعلها تتهمنى بقتله .

- أنت رجل حريص .. ورابط الجأش .. وقد ذهبت فأتيت بقفازات من الكاوتشوك من المطبخ .

- لم أكن أريد أن أترك بصمات أصابعى فى الغرفة ؟ ... لقد سرت إلى الباب الحديدى ووضعت المفتاح فى جيبى ... ولكن كانت زيارتى عديمة النفع فقد أحرق كل أوراقه ... كنت خائفاً ... كانت عيناه المفتوحتان تثيرانى .. وعدت على عجل

بحيث أننى نسيت أن أغلق الباب بالمفتاح ... وماذا كان بوسعك أن تفعل لو كنت مكانى ... مادام قد مات ؟ وقد ازددت خوفا فى اليوم الذى كنت ألعب فيه الورق مع موثق العقود ، عندما علمت أن المسدس انطلق من جديد . وأسرعت أفحصه عن كثب .. لم أجرؤ على لمسه لأنه كان الدليل على براءتى لو أن الشكوك ارتقت إلى .. وهو مسدس ذو ست طلقات .. وقد أدركت أن المسدس أصابه عطب عقب الطلقة الأولى وانه ارتخى بتأثير الجو بعد ذلك بثمانية أيام . وكان فى الامكان أن تكون هناك ثلاث رصاصات أخرى ... أليس كذلك ؟ ومنذ ذلك الحين وأنا أقضى وقتى فى الإنصات ... ومنذ فترة بينما كنا نتحدث كنت أتحاشى الوقوف أمام النافذة

- ولكنك تركتنى أقف غير عابىء بما قد يحدث لى ... ثم أنك أنت الذى ألقيت بالمفتاح فى طريق العشب عندما هددتك بتفتيش القصر .

وكان بعض النزلاء قد فرغوا من تناول طعام العشاء فراحوا يمشون أمام الفندق جيئة وذهاباً . وسمع ميجريه خطواتهم الرتيبة كما سمع الصخب والضوضاء من المطبخ .

وقال سان هيلير :

- لقد أخطأت إذ عرضت عليك مالا ...

أوشك ميجريه أن يقهقه ضاحكا ، ولو أنه لم يملك نفسه لكانت ضحكته هذه مخيفة بلا شك .

كان يقف بجوار محدثه فيبدو أمامه كالعملاق ، فقد كان أطول منه قامة وأضخم جسما . وكان ينظر إليه فى عطف وفى قسوة فى الوقت نفسه ويهز يده كما لو كان يريد أن يمسك رأسه ويدق بها الحائط .

ومع ذلك فان تيبورس دى سان هيلير الزائف كان في حالة يرثى لها وهو يحاول أن يبرىء نفسه وأن يستعيد ثقته .

كان يحاول أن يبدو وقحاً ولكنه سرعان ما كان يرتد فى كل مرة يتظاهر فيها ميجريه بالتحرك . ولو أن القوميسير رفع يده لألقى الآخر بنفسه على الأرض .

- اعلم أنه إذا كانت زوجته فى حاجة إلى أية مساعدة فانني على استعداد ، فى حدود امكانياتى وخفية ..

كان يعلم أن هناك تقادما بمضى الوقت ولكن مع ذلك لم يكن مطمئناً كل الإطمئنان . كان يود لو أن ينزل عن جزء كبير من ثروته فى سبيل كلمة طيبة من القوميسير الذى بدا كأنه يلعب معه كما يلعب القط مع الفار .

- لقد قام هو بعمل اللازم فى سبيل ذلك .

– أجل .. قرأت ذلك فى الجرائد .. وثيقة تأمين على الحياة بثلثمائة ألف فرنك .. ألا ترى معى أن هذا غريب .

لم يستطع ميجريه أن يملك نفسه فصاح :

– غريب ، أليس كذلك ؟ .. هذا الرجل الذى قضى طفولته بائسة من غير أن يمتلك مليما واحدا لمصروفه الخاص .. فأنت تعرف مدارس الليسيه .. وليسيه بورج تضم بين تلاميذها خيرة النبلاء والأشراف .. وهو نفسه صاحب لقب كبير .. لقب عتيق براق كألقابهم تماماً .. ولكنه يملك إلى جانب هذا اللقب اسما مضحكا يدعو إلى السخرية .. تيبورس . وهو إذا كان يأكل ويحصل دروسه كغيره من التلاميذ الذين معه فهو لا يستطيع أن يشترى قطعة شيكولاته أو مصاصة أو بعضا من البلى . وفى «الفسحة» يقف وحده فى ركن بمعزل عن التلاميذ .. ولعل بعض التلاميذ الفقراء أمثاله كانوا يرثون لحاله . ويترك المدرسة فى آخر الأمر ... ويبيع الكتب فى إحدى المكتبات ويجر وراءه لقبه المتعب « وسترته » المضحكة وكبده المريض . ليس لديه ما يرهنه ... ولكنه يملك ذلك اللقب الذى يعرض عليه بعضهم ذات يوم أن يشتريه . وهو لا يزال يرزح فى بؤسه، وإن كان قد تخلص من لقبه ... وباسم اميل جاليه يرتفع درجة فى المجتمع .. فيحيا ولكن حياة دون المتوسط ... ويأكل حتى

الشبع ويرتوى حتى الثمالة .

ولكن اسرته الجديدة تعامله كما لو كان كلبا أجزب . وله الآن زوجة وابن .. ولكنهما يعيبان عليه عدم قدرته على الإرتفاع بمستواه وعلى كسب مزيد من المال وعلى أن يغدو مستشارا عاما. ها هوذا الاسم الذى باعه بثلاثين ألف فرنك يساوي فجأة أكثر من مليون ... الشيء الوحيد الذى يملكه ... الشيء الذى كان سببا فى بؤسه وفي ازدراء الناس له ...الاسم الذي تخلص منه .

وجاليه الأصيل ... ابن الحظ ... الشاب المرح يتنازل له من وقت لآخر ، ويشق النفس عن صدقة . غريب حقا ... تماماً كما تقول .. لم يفلح فى شيء ... قضى بقية حياته فى عض أنامله ندما ... لم يبسط له أحد يدا فى أى وقت من الأوقات . حتى ابنه ثار عليه ... وتنكر له بمجرد أن ساعدته جناحاه على الابتعاد تاركا أباه لحياته الرتيبة . زوجته فقط هى التى تقبلت الأمر الواقع ... لا أقول أنها ساعدته ، ولا أقول أنها واسته ... تقبلت الأمر الواقع فحسب لأنها أحست بأنها لن تستطيع تغييره ... رجل مسكين يتبع نظاما خاصا . ولكنه يترك لها ثلثمائة ألف فرنك كافية لكى تهرع اختاها إليها وأن يبادلها المستشار العام المجاملات والابتسامات . منذ خمس سنوات

يعيش عيشة الكلاب .. يجر نفسه جراً ... وتتتابع عليه النوبات ... والملكيون تغيروا هم أيضاً وأصبحوا لا يجودون إلا بما يجودون به للمتسولين .. ولكنه يحصل منك من وقت لآخر علي ورقة من فئة ألف فرنك . ولكن مسيو يعقوب يستنفد منه خير ما يجمعه بهذه الوسيلة . غريب أمر جاليه - سان هيلير هذا لأنه إذا كان يقتصد من نفقاته اليومية فهو ينفق بسخاء علي وثيقة التأمين ويدفع عشرين ألف فرنك كل سنة . وهو يتوقع أن يتملكه اليأس فى أى وقت إلا إذا توقف قلبه عن الحركة فجأة. رجل مسكين بمعزل عن الناس ، دائم التنقل ، لا يشعر بالاستقرار فى أى مكان اللهم إلا وهو يصطاد بالبوصة بعيدا عن أعين الناس . لقد ولد فى وقت غير مناسب وفى أسرة بائسة كانت من الحماقة بحيث جمدت بضعة آلاف من الفرنكات جمعتها بشق النفس للانفاق علي تعليمه . وباع اسمه فى وقت غير مناسب . وفى وقت غير مناسب عمل مع الملكيين .. وفى وقت غير مناسب، ماتت فيه الملكية . وتزوج فى وقت غير مناسب .. وورث ابنه طباع خالتيه وزوجيهما . والناس يموتون كل يوم مع أنهم لا يتمنون الموت لأنهم سعداء أصحاء . ولكن هو لا يموت فى الوقت المناسب ... وشركات التأمين لا

تدفع إذا كان هناك انتحار، وهو خبير فى فك الساعات والزنبركات .. ويعرف جيدا أن الوقت الذى لا يمكنه أن يذهب فيه بعيدا سوف يأزف قريبا . ولكن ها هو ذا مسيو يعقوب يأتي فيطالبه بعشرين ألف فرنك لا يملك منها شيئاً ولن يمنحه اياها أي شخص .. ومعه الزنبرك فى جيبه ، ولكن اراحة لضميره ، يذهب إلي الذى ربح أكثر من مليون بدلا منه . ومع أنه ليس لديه أى أمل ... إلا أنه يعود إلىه مرة ثانية ولكنه قبل ذلك كان قد طلب أن يستبدل بغرفته أخرى تطل على الفناء لأنه لا يثق بالتركيب الميكانيكى ، وهو يؤثر عليه طريقة أسهل هى طريقة البتر . لقد اجتاز الحياة يلازمه اليأس والنحس . وبلغ يأسه الذروة عندما علم أن الغرفة التى تطل علي الفناء غير شاغرة وأصبح لزاما عليه أن يتسلق السور .

– ولكن طلقتين لا تنطلقان .. وأنت نفسك قلت أن خده الايمن قد أصطبغ بلون أحمر وأخذ الدم يسيل وأنه ظل واقفا ينظر إلي «النقطة» نفسها كما لو كان ينتظر شيئاً .. أفلم يقض حياته في إنتظار شيء .. قليل من الحظ ... ذلك الحظ الذى لم يشأ أن يبتسم له ...

– بل أن حظه المنكود شاء له أن ينتظر– بلا جدوى– الرصاصتين اللتين لم تنطلقا ... واضطر أن يفرغ من عمله بنفسه .

وكان ميجريه قد تكلم من غير انقطاع وعند آخر كلمة ضغط على غليونه بين فكيه فى حركة عصبية فتحطم المبسم .

ونظر سان هيلير إليه بعينين زائغتين وأخذ يقول والكلام يرتج عليه :

- هذا لا يمنع من أنه كان محتالا .

حدق ميجريه إليه لحظة بدون أن ينطق أو أن يتحرك. ولمعت عيناه ورفع يده الضخمة . وأحس بأعصاب صاحب القصر تتوتر خوفا وقلقا فترك يده معلقة فى الهواء كان لو كان قد طاب له أن يتمتع بخوف صاحبه واخيرا ربت بها على كتف الرجل وقـال :

- أنت على حق ... كان محتالا .. أما أنت فهناك تقادم ، أليس كذلك ؟ .

- أنت تعرف القانون خيرا منى ...ومع ذلك فيخيل إلى ...

- نعم ... نعم ... هناك تقادم ... والقانون يقول انه لا جناية هناك ولا جريمة عندما يستولى الابن بطريق الاحتيال على أموال أبيه ، بحيث أن هنرى جاليه مثلك لا يخشى شيئاً .. انه لم يجمع حتى الآن إلا مائة ألف فرنك ، ولو أضفنا إليها الخمسين ألفا التى مع صديقته لأصبح المبلغ مائة وخمسين ألفا على حين يلزمه خمسمائه ألف فرنك لكى يتسنى له أن يعيش

فى الريف كما نصحه الأطباء بذلك . قلت ان ذلك غريب يا مسيو دى سان هيلير ... غريب حقاً .. ليست هناك جريمة .. وليس هناك قاتل ولا مجرم .. لايوجد أحد لكى نلقى به فى غياهب السجون . أو بالأحرى ما كان هناك غير القتيل نفسه لو لم تواته الفكرة بأن يفلت من العدالة وأن يحتمى داخل تابوت تحت حجرة ليست بالغالية وان كانت ذات ذوق جميل مهيب فى مقبرة سان فارجو ... هلا اعطيتنى نارا ؟ .. لا تتردد الآن فى إستخدام يدك اليسرى .. بل انه لم يعد هناك ما يمنعك من ممارسة رياضتك المحببة إلى نفسك ومن انشاء فريق لكرة القدم فى سانسر تتولى أنت رياسته الفخرية ..

وفجأة تغيرت ملامحه كما تغير صوته وصاح به :

– إليك عنى .

– ولكن ... اننى ...

– اغرب عن وجهى .

ومرة أخرى بدا سان هيلير رخوا لا يدرى ماذا يفعل ... ومرت به لحظات قبل أن يتمكن من السيطرة علي أعصابه . وبدا يقول :

– أظن أنك تبالغ أيها القوميسير .. وإذا أنا ..

– ليس من الباب .. بل من النافذة .. أنت تعرف الطريق.

جيدا .. أليس كذلك ؟ . انتظر .. فانك نسيت مفتاحك .

- عندما تكون أكثر هدوءاً سوف ...

- هو ذلك .. سوف ترسل لى صندوقاً من ذلك النبيذ ذى الرغوة الذى تذوقته عندك .

لم يعرف الآخر هل ينبغى أن يبتسم أو أن يرتعد فرقا . كان يرى ميجريه بسحنته الضخمة يتقدم منه فيرتد بحركة غريزية نحو النافذة .

- ولكنك لم تذكر لى عنوانك .

- سوف أرسله إليك ببطاقة بريدية .. هوب ! إنك ماتزال نشطا برغم سنك المتقدمة .

وأغلق النافذة فجأة وبقى وحيدا فى الغرفة التى امتلأت بضوء المصباح الكهربى .

كان الفراش فى الغرفة كما كان تماماً فى اليوم الذى نزل فيه اميل جاليه .. و «السترة» السمراء كانت لاتزال معلقة على الحائط .

واخذ ميجريه الصورة من فوق المدفأة فى عصبية ووضعها فى ظرف باسم إدارة الأمن العام وكتب عليه عنوان مدام جاليه .

وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة . وأقبل بعض الباريسيين فى إحدى السيارات واخذوا مجلسهم فى الشرفة

وأداروا «الفونوغراف» .

كانوا يرغبون فى الرقص على حين راح مسيو تارديفون يجادلهم موزعا بين تقديره للسيارة التى اقبلوا فيها وبين مطالب نزلائه الذين يريدون النوم ويطلب من نزلائه الجدد الانتقال إلى إحدى «الصالات» الداخلية .

وإجتاز ميجريه ممرات الفندق وبلغ المشرب حيث اجتمع مزراع بمدرس وراحا يلعبان البلياردو . وسار إلى الخارج على حين توقف راقصان وقالت الفتاة تسأل صاحبها :

- ماذا يريد ؟ .

- يقول ان نزلاءه يريدون النوم ... ويطالبنا بألا نصدر صوتا .

وطالعته من بعيد أضواء مصابيح الجسر المعلق وقد راحت أشعتها تنعكس على نهر اللوار .

- ألا يمكن أن نرقص ؟ .

- فى الداخل فقط .

- إن هذا لرائع ! .

وكان تارديفون واقفا يجادل الراقصين فى شىء من الرأفة فأبصر ميجريه وأسرع إليه قائلاً :

- لقد أعددت مائدتك فى «الصالون» الصغير أيها القوميسير

... هل من جديد ؟ .

كان «الفونوغراف» لا يزال دائراً . وفى الدور الأول بدت أمرأة بقميص النوم حدقت إلى الراقصين فى غيظ ثم تحولت إلى زوجها الراقد وصاحت قائلة :

- ألا تنزل وتسكتهما ؟ ... إذا كنا لا نستطيع النوم ...

وعلى نقيضهما ، كان هناك زوجان آخران انضما إلى صف الراقصين على أمل التعرف بهما بلا ريب وقضاء سهرة ممتعة معهما .

وقال ميجريه :

- لن أتناول العشاء ... هلا أرسلت حقائبى إلى المحطة ؟ .

- هل تنوى الرحيل بقطار الحادية عشرة والدقيقة الثانية والثلاثين ؟ .

- أجل .

- ولكن ... ألا تتناول شيئاً ؟ ... هل معك بطاقة المحل على الأقل ؟ .

واخرج مسيو تارديفون من جيبه بطاقة باهتة يدل مظرها على أنه مضى على طبعها أكثر من اثنتى عشرة سنة ظهر على أحد وجهيها صورة فندق لالوار وقد وقف أمامه بعض النزلاء وفى وسطهم مسيو تارديفون وإلى جوارهم بعض الموظفين

والعمال وفى أيديهم أطباق الطعام .

وقال ميجريه :

- شكراً لك .

ودس الصورة فى أحد جيوبه وألقى نظرة أخيرة على ممر العشب . وفى القصر الصغير أضيئت الأنوار فى إحدى النوافذ وكان ميجريه مستعدا لأن يقسم أن تيبورس دى سان هيلير كان يخلع ثيابه وهو يتمتم قائلاً :

- لقد اضطر أخيراً أن يفهم ... أولاً هناك تقادم .. أدرك أننى أعرف القانون الرومانى خيراً منه .. ثم ان جاليه برغم كل ذلك لم يكن إلا محتالا ... نعم ... لا يمكن أن يوجه إلى أحد أى لوم .

ولكن ، كان ينظر فى شىء من الوجل إلى أركان الغرفة المظلمة .

ولا ريب أن الأضواء قد اطفئت فى هذه اللحظة فى سان فارجو وان مدام جاليه عقصت شعرها بالدبابيس وطرحت همومها عنها وتمددت بوقارها فى الفراش وراحت تتحسس المكان الخالى بجوارها ، ولعلها تبكى فى خفوت قبل أن يغلبها النوم .

ولكنها سوف تجد العزاء والسلوى إلى جوار اختيها

بكل رضا وارتياح .

شد ميجريه فى ليونة على يد مسيو تارديفون الذى راح يتابع فى شرود النزلاء الذين أصروا على تناول طعامهم وعلى الرقص في الداخل .

و «طقطق» الجسر المعلق تحت قدميه . وكانت مياه النهر تصطدم برمال الشاطىء فى صوت هادىء رتيب

وراح يستعرض فى ذهنه وهو يمشى منظر هنرى وقد تقدم به العمر وازدادت صفرة لونه كما ازداد فمه طولا ونحولاً وهو يسير برفقة اليونور وقد ازدادت قسماتها هى الأخرى قسوة على مر السنين وبدت مضحكة بصورة محسوسة .

انهما سوف يتشاجران بسبب وبغير سبب . وخاصة بسبب الخمسمائة الف من الفرنكات . فانها سوف تكون دائماً حائلاً بينهما .

– يمكنك أن تتكلم ... ومع ذلك فقد كان أبوك ...

– لا تتحدثى عن أبى .. ماذا كنت أنت نفسك عندما التقيت بك ...

– هذا لا يمنع أنك كنت تعلم أن أباك ...

* * *

ورقد فى القطار وراح فى سبات عميق حتى بلغ باريس ... ورأى فى احلامه صورا مختلفة غير واضحة المعالم يدعو بعضها إلى التقزز والاشمئزاز .

وعندما أراد أن يدفع ثمن القهوة التى تناولها فى بوفيه المحطة أخرج من جيبه من غير قصد بطاقة فندق لالوار .

وكانت تجلس بجواره فتاة كانت تقضم بعض الشطائر وتشرب فنجانا من الشاى . وترك البطاقة فوق « البنك » واذ بلغ البوفيه تحول فرأى الفتاة تنظر إلى صورة الفندق الذى تحيط به الأشجار بطريقة حالمة . وأخذ يقول محدثا نفسه :

- لعلها هى التى سترقد فى الغرفة . وسوف يدعوها سان هيلير إلى تناول كأس من النبيذ ذى الرغوة فى قصره .

وقالت مدام ميجريه تخاطبه عندما دخل مسكنه بشارع ريشار لينوار :

- انك تبدو كأنك عائد من تشييع جنازة ... هل أكلت على الأقل ؟ .

فقال وهو ينظر فى إبتهاج إلى المنظر المألوف ، وكأنه يحدث نفسه :

- لك الحق ... مادام قد دفن ! .

واردف يقول من غير أن تفهم :

- ولكنى كنت أوثر الاهتمام بقتيل حقيقى قتله قاتل حقيقى ... ايقظينى فى الساعة الحادية عشرة .. ينبغى أن اقدم تقريرى إلى الرئيس .

ولم يعترف لها أنه ليس فى نيته أن ينام وإنما أن يسائل نفسه ماذا سيذكر فى هذا التقرير ؟ .

الحقيقة طبعا ... الحقيقة المجردة التى سوف تحرم مدام جاليه ثلثمائة ألف فرنك قيمة وثيقة التأمين وتقيمها ضد ابنها وضد اليونور تيبورس دى سان هيلير وتقيم ضدها اختاها وزوجاهما من جديد .

حلقة متشابكة من المنافع والأغراض والحقد والقضايا التى لا تفرغ .. بل قد يبلغ الأمر بأحد القضاة إلى أن يأمر باخراج جثة اميل جاليه من قبره لتفحص من جديد .

لم يكن لدى ميجريه صورة للميت ... ولكنه لم يعد بحاجة إلى تلك الصورة الذابلة .

خده الأيمن اصطبغ باللون الأحمر .. وأخذ الدم يسيل وبقى واقفا ينظر إلى «النقطة» نفسها كما لو كان ينتظر شيئاً .

وزمجر ميجريه وهو ينهض قبل الوقت المحدد :

وقال يخاطب رئيسه بعد قليل :

- هى قضية فاشلة الفاعل فيها مجهول وليس أمامنا إلا حفظ التحقيق .

على حين كان يحسب فيما بينه وبين نفسه :

- ان الطبيب يدعى أنه ما كان ليعيش أكثر من ثلاث سنوات ... لنفرض أن شركة التأمين تخسر فى هذه القضية ستين ألف فرنك ... لن يهمها هذا المبلغ على أى حال و«رأسمالها» تسعون مليونا من الفرنكات ! .

« تمت »

جورج سيمنون

أسماه أندريه چيد: أعظم روائى القرن العشرين. وقيل أن المفتش البوليسى ميجريه الذى ابتدعه لا يزاحمه غير شرلوك هولمز. وقد خلف ٤٢٠ رواية، ١٩٣ منها بأسمه. والباقى بأسماء مستعارة. و٨٤ منها تدور حول المفتش ميجريه.

وقيل أنه كان يكتب فى كل يوم فصلا كاملا من رواياته. ولكنه كان يعيش حياة الثراء والكسل، فلا يعمل إلا من وقت إلي آخر. كما قيل أن حياته العائلية، مع أمه، ثم زوجاته، وأبنائه، لم تكن سعيدة.

وقد ولد چورچ سيمنون فى مدينة لييج ببلچيكا فى ١٩٠٣. وكان والده كاتبا صغيرا. وقد رحل فى شبابه ال
باريس، وعاش حياة اللهو الكامل فيها. وكان
المغنية الزنجية الشهيرة چوزفين بيكر. ثم ب
منذ بداية الثلاثينات عن المفتش ميجريه.
رواجا كبيرا. وحققت له ثروة واسعة.

دار ومطابع المستقبل بالفجالة و